روايات مصرية للجيب

5

سلسلة
الأعداد
الخاصة

فانتازيا

خمّنوا معى ..



د. أحمد خالد توفيق

روايات مصرية للجيب

فانتازيا

مغامرات ممتعة
من أرض الخيال



د. أحمد خالد توفيق

خمنوا معي ..

سوف نقلد المسابقات التلفزيونية التى تراها طيلة اليوم ، والتى تستغل - مع احترامى الشديد لك - جشع المشاهد وغريزة المقامرة المستترة لديه ، لكن مع فارق مهم أو يجب أن يكون مهماً : لن نطلب منك الاتصال برقم ٠٩٠٠ أو إرسال رسالة SMS على الهاتف المحمول لنجنى بعض المال .. كل ما نعد الفائزين به هو أن ننشر أسماءهم فى أحد كتيبات فانتازيا القادمة مع بعض عبارات الشكر .. هذا كل شىء ..

من هنا ترى أننا نتحرك وفق مبدأ (الجائزة هى اللعبة ذاتها) ..

رجل المستحيل

الثمن فى مصر 500
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية

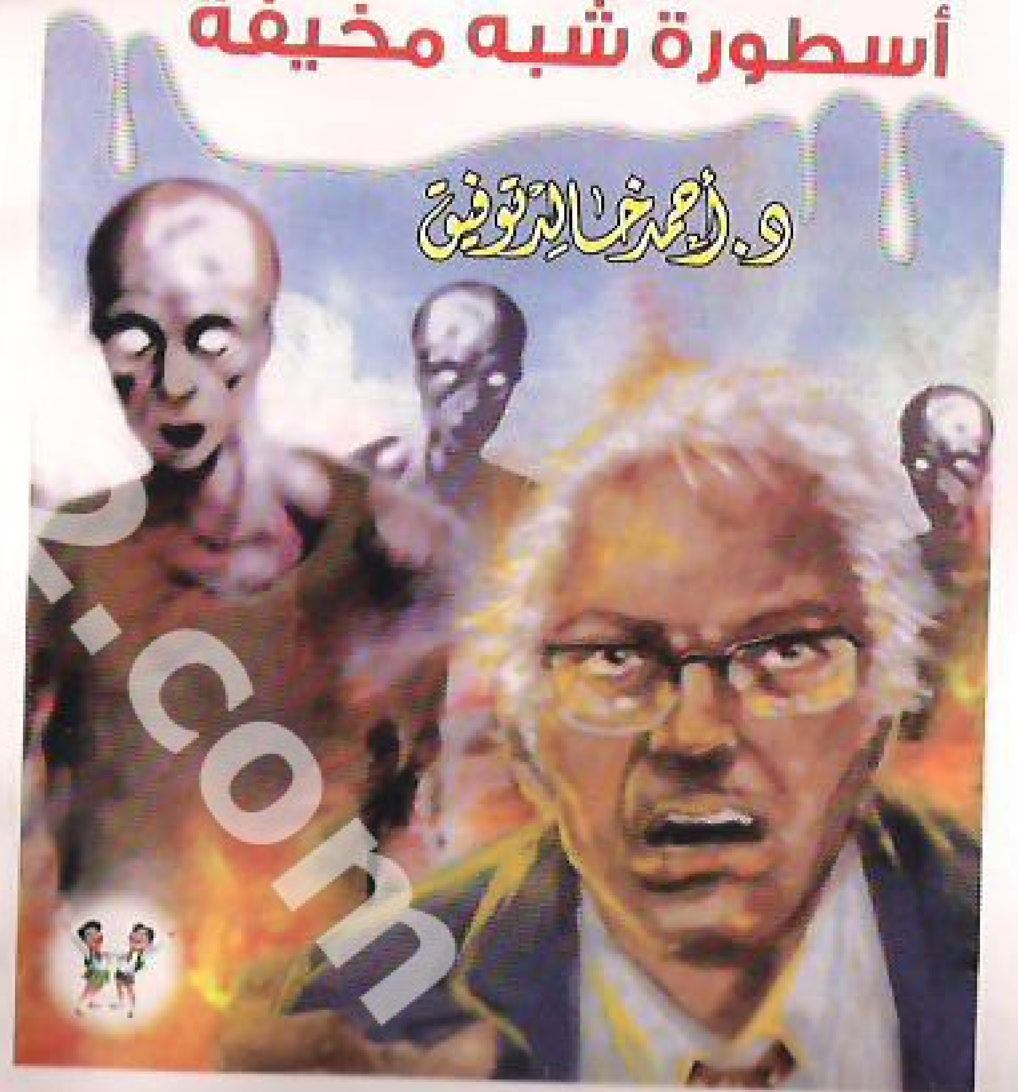


هل حصلت على نسختك من هذه الرواية ؟
إن لم تكن . . فبادر باقتنائها تكتسب متعة وتشويقًا لا حدَّ لهما . .



روايات مصرية للجيب

ما وراء الطبيعة 73



5

روايات مصرية للجيب

•

سلسلة الأعداد الخاصة

فانتـــازيا

•

خمّنوا معى

مقـــدمـة فانتازيا

(عبير عبد الرحمن) شخصية عادية إلى حد غير مسبوق .. إلى حد يخطف الأبصار .. إنها الشخص الذى نتمنى ألا نكونه حين نتحدث عن أنفسنا .. الشخص الذى لا يتفوق فى الجمال أو القوة أو البراعة أو الذكاء .. لكن لا بد من شىء ما يميزها وإلا لعاشت وماتت دون أن نسمع عنها .. ثمة أبطال قصص يمتازون بالقوة .. ثمة أبطال يمتازون بالذكاء الخارق .. ثمة أبطال يمتازون بالحظ العاثر .. ثمة أبطال يمتازون بأنهم لا يمتازون بشىء .. ويبدو أن (عبير) من هذه الفئة الأخيرة ..

فى نقطة واحدة تفوقت (عبير) علينا .. إنها تملك ذلك الخيال الشاسع بحجم المحيط ، وتملك فكرة عن أكثر العوالم الخيالية التى أبدعتها قريحة الأدباء والفنانين والسينمائيين ومصممى الألعاب ، كما أنها امتلكت ذلك الجهاز الغريب الذى يولد الأحلام ، والذى لا يصلح إلا لها فى الواقع ، وبهذا غدت أول مخلوق بشرى يستطيع ارتياد تلك العوالم الساحرة ، بل يشارك فيها كذلك .. ومن البدهى أن (عبير) صارت تنتمى لـ (فانتازيا) أكثر مما تنتمى لعالمنا .. وبالنسبة لها لم تعد مشاكل الواقع إلا منغصات تتخلل فترات الحلم الأكبر الدائم فى (فانتازيا) ..

إن (عبير) كريمة النفس ؛ لهذا لن تتركنا هنا وحدنا مع واقع لا يتغير .. سوف تصحبنا معها .. سوف نعبر معها

عالم المرآة الساحر مثلما فعلت (أليس) يومًا ما .. سوف تقابل ونحن معها العبقرى المخيف (دستويفسكى) وتجلس فى مجلس واحد مع (أرشميدس) و(الخوارزمى) و(أينشتاين) .. سوف يشرح لها (فرويد) نظرياته وهو يدخن غليونه الذى أصابه بالسرطان .. سوف تمشى مع (أفلاطون) فى بستان مدرسته .. ستحلق مع (طرزان) فوق قمم الأشجار السامقة ، وتثب مع الرجل العنكبوت من فوق ناطحات السحاب .. ربما تخدعها الساحرة الشريرة كى تلتهم التفاحة ، أو تهدد المقصلة عنقها ، ولربما تضع قدميها على تربة المريخ الحمراء ، أو تغطس فى كرة أعماق الدكتور (بيب) .. ربما تلتج قبر (توت عنخ آمون) أو تحارب جحافل المغول ..

إنها (فانتازيا) حيث القواعد الوحيدة للعبة هى : لا قواعد .. وحيث الحدود الوحيدة لرقعة الخيال هى : لا حدود ..

إن جرس المحطة يدق ، والبخار يتصاعد من مدخنة القطار .. والمرشد الملول الذى يرشدها فى أنحاء (فانتازيا) يقف نافد الصبر على باب القطار .. فلنتخذ مقاعدنا بسرعة ..

لقد حان موعد قصة أخرى ..

ومقدمة الكتيب الخاص

للمرة الأولى نقابل (عبير) فى عدد خاص من سلسلة الأعداد الخاصة ، وهذا ليس غريبًا إذا تذكرنا أن فكرة هذا الكتيب ولدت قبل (دراجوسان) بعام كامل ، لكن لم أجد البال الرائق ولا الوقت المتسع لكتابته قط ، ثم وجدت أنه تأخر أكثر من اللازم ، وأن البال لا يروق والوقت لا يتسع بل العكس صحيح أحيانًا ..

دائمًا ما نتصور أن هناك لحظة قادمة تكون فيها الحياة أكثر هدوءًا ، ونكون فى حالة تصالح مع ذواتنا والآخرين ، وعندئذ سنصير رائعين وسنفعل كل شىء أجلناه حتى اللحظة ، بدءًا بتعلم اللغة الفنلندية مرورًا بإجادة لعبة الماجونج ورياضة الغطس وانتهاء بكتابة هذا الكتيب .. المشكلة أن هذه اللحظة لا تأتى أبدًا ، وتظل الأشياء المعلقة معلقة .. وفى يوم تكتشف أنها صارت قديمة لا لزوم لها ..

إن فانتازيا تلعب مع (عبير) أحيانًا ، وقد مررنا بتجربة مماثلة فى (يوم غرق الأسطول) عندما كان على (عبير) أن تبحث عن (شريف) وسط عدة قصص يجمع بينها أن هناك أسطولاً يغرق فى كل مرة ..

اليوم تلعب فانتازيا لعبة أكثر تعقيدًا إلى حد ما ...

ليست معقدة إلى هذا الحد ، لكنها تحتاج منك إلى اطلاع واسع أو إلى ذكاء ودقة ملاحظة ، وربما بعض ما نطلق عليه (الفتاكة) إذا سمحت لى باللفظ ..

سوف نقلد المسابقات التلفزيونية التى تراها طيلة اليوم ، والتى تستغل ـ مع احترامى الشديد لك ـ جشع المشاهد وغريزة المقامرة المستترة لديه ، لكن مع فارق مهم أو يجب أن يكون مهمًا : لن نطلب منك الاتصال برقم 0900 أو إرسال رسالة SMS على الهاتف المحمول لنجنى بعض المال .. كل ما نعد الفائزين به هو أن ننشر أسماءهم فى أحد كتيبات فانتازيا القادمة مع بعض عبارات الشكر .. هذا كل شىء ..

من هنا ترى أننا نتحرك وفق مبدأ (الجائزة هى اللعبة ذاتها) ..

ترى هل أجد الخطاب المنتظر فى صندوق بريدى ، أم إننى سأنتظر فى يأس ، إلى أن أعلن النتيجة بنفسى فى النهاية ، وأعلن أنه لا يوجد فائزون ؟

وحده الزمن سوف يقرر ..

غبيـــة ؟؟

(عبير) لا تعرف حقًا السبب فى حبها للقراءة .. منذ نعومة أظفارها اعتادت أن الحروف صنارة تقتنص عينيها متى وجدت أمامها أيّة صفحة مفتوحة . صفحة كتاب أو مجلة أو ورقة من جريدة .. حتى طوابع البريد ، لابد أن تجرى عيناها على حروفها الصغيرة ، والأغرب أن هذا يتم دون وعى منها .. فلا تعرف أنها قرأت إلا بعد لحظات ..

كانت تفتنها تلك الطريقة لتخليد الأفكار على الورق .. حقيقة أن كل سطر إنما هو روح تفكر .. إنما هو شخص قرر أن ينقل ملاحظاته أو هواجسه أو أحلامه للآخرين .. هذا كان يفتنها كثيرًا .. إنها تدخل رءوس الآلاف .. تدخل رءوسًا أمريكية وروسية وألمانية وسويدية ، وهذه الرءوس تعيش اليوم أو عاشت منذ آلاف السنين .. هل توجد طريقة أخرى لانتقال الأفكار سوى هذه ؟

حتى رجل الكهف أمسك بمطرقة وقطعة عظم مدببة وراح يرسم خواطره على الجدار .. حتى ذلك الفنان الفرعونى الأسمر جلس أمام جدار ينقل أفكاره وحرارة شمس الأقصر تشوى جلده حيًا .. وماذا عن الفيلسوف الصينى بروبه الحريرى الفضفاض وجواره

قدح الشاى الأخضر وقارورة الحبر الشينى ؟.. يكتب خواطره بضربات مزخرفة حاسمة على الورق ثم يناول الفرشاة لقرد الحبر المدرب كى يغمسها فى المحبرة وينظفها كى لا تتسخ أنامل الفيلسوف .. كل هذا يصل لك عبر الزمن والمسافات ..

الشاعر العربى الذى وقف يومًا فى سوق عكاظ ينشد معلقته ، ورجال القبائل يهللون مع كل بيت ، وماذا عن ذلك الشاعر الذى دخل إلى مجلس الخليفة لينشده قصيدته الأخيرة ؟.. و(شريدان لو فانو) الذى كان يكتب (كارميلا) المخيفة فى فراشه كل ليلة وقد ثبت شمعتين عن يمينه وعن يساره ؟ كل هذا يصلك وأنت مستريح فى دارك وذلك عن طريق القراءة ..

نعم .. عبير أحبت القراءة وقرأت كثيرًا جدًا ، لكنها لم تكوّن نظرة متكاملة للكون والحياة .. باختصار لعبت ذات دور النظارة التى على عينيك .. تقرأ كثيرًا جدًا ولا تستوعب الكثير أو هذا ما تعتقده ولو أضفنا لهذا حبها للفرار والخيال ، لعرفنا أن القراءة لعبت فى حياتها دومًا دور باب الفرار الخلفى ..

عبير أحبت القراءة وبفضلها تحملت أشياء كثيرة من حياتها المفعمة بالمشاكل ..

ثم جاءت فانتازيا ، وعرفت عبير أنها نموذج نادر جدًا .. هى من القلائل فى العالم الذين يمكنهم الاستفادة من عالم الأحلام هـذا ..

* * *

لم تكن (عبير) على ما يرام عندما جلست هذه المرة لجهاز (دى جى) كى تنتقل لعالم فانتازيا .. كانت تشعر بصداع شديد من الطراز الرنان إياه ، وقد وجدت أن إغماض عينيها يريحها نوعًا .. ثم قررت أن تشفع إغماض العينين برحلة إلى فانتازيا ..

هناك كان المرشد ينتظرها على قمة ذلك الجرف الذى تقابله عنده كثيرًا .. من تحت ترى وديان وغابات فانتازيا ، وترى لمحات من عالم الخيال الممتد الواسع .. الهواء يطير ثوبها ويوشك على أن يطيرها هى لتسقط فى الهاوية ..

يدنو منها المرشد .. لا تنظر له لكنها تسمع خطواته وصوت القلم اللعين .. تك .. تتك .. تك .

يقول لها بصوته الهادئ الممل :

ـ « هل من مشكلة هذه المرة ؟ »

ـ « لا أدرى .. أحيانًا تعاودنى حالة عدم الرضا عن نفسى .. »

ـ « هذا جميل وصحى .. مثل الفنان الذى لا يرضى عن عمله أبدًا .. كما يقول الشاعر (عزت الحريرى) : بص للعالم بسخط وامشى مرفوع الدماغ .. لو رضيت انتهيت !.. العالم يعج بالحمقى الراضين عن أنفسهم .. تجدينهم فى كل مكان .. يدخنون الشيشة فى المقاهى ليلاً ، ويوشكون على دهم الأطفال بسياراتهم عند المنحنيات ، ويرسل كل منهم صورته للصحف مع تعليق سخيف يقول مثلاً : ليت البشر يكفون عن الحروب. تتأملين الصورة فتجدين وجهًا راضيًا عن نفسه بتوحش .. بعنف .. إن القلق سمة الفنانين والعلماء والأتقياء .. تذكرى كل الخيرين الذين سمعت عنهم وتذكرى كلماتهم على فراش الموت .. »

قالت فى ضيق :

ـ « المشكلة أننى غير راضية عن نفسى لأننى سيئة ، وليس لأننى لم أصر المثل الأعلى الذى أردته"

ـ « لا يهم .. فى الحالتين تبحثين عن الأفضل .. »

ثم تنهد واستند إلى شجرة وجدت فجأة هناك وقال :

ـ « ما هو موضوع عدم الرضا ؟.. »

ـ « لا أدرى .. »

قال فى خبث :

ـ « فعلاً هذا سبب كاف لعدم الرضا .. الغباء الذى يجعل المرء حزيناً ولا يعرف لماذا هو حزين .. »

هتفت فى لهجة انتصار :

ـ « أجدت الكلام .. الغباء .. هذا هو .. أنا غبية .. أعرف هذا يقيناً .. »

ـ « وما هى مظاهر غبائك ؟ »

ركلت قطعة حصى وجدت فجأة تحت قدمها لتركلها وراقبتها وهى تطير فوق حافة المنحدر لتغيب عن عينيها ، وقالت :

ـ « لا أدرى .. ربما لأن شيئاً مما قرأته لا يعلق بذاكرتى .. »

ـ « فانتازيا دليل على أن كل حرف قرأته علق بذاكرتك .. فقط على مستوى اللا وعى .. »

ـ « لاتحاول .. أنا غبية مسطحة .. أعرف هذا وأؤمن به .. »

كان صوتها مختنقاً كأنها توشك على البكاء ، وقد نظر لها مرتين فأيقن أن الأمر حقيقى وأنها لا تمزح ..

حك رأسه قليلاً ، ثم قال :

ـ « يمكن أن أبرهن لك على العكس ... أنت لم تنسى شيئاً .. لكنك لا تفيدين مما تعرفينه كثيراً وهذا موضوع يطول شرحه ، لكننا نتحدث اليوم عن ذاكرتك .. »

ثم التمعت عيناه بريق النصر شأن من يجد فكرة لامعة فى القصص المصورة ، وقال :

ـ « اسمعى .. سوف يكون هذا بالذات موضوع مغامرة اليوم .. »

قالت فى تعاسة :

ـ « كل هذا جميل .. لكن ما هو موضوع مغامرة اليوم ؟ »

ـ « هذا هو موضوع مغامرة اليوم ..! »

المتاهة

كان القطار يمضى بهما فى فانتازيا .. القطار السخيف المضحك الذى يذكرك بقصص ديزنى ، حتى ليوشك على أن يكون له شارب ووجه ضحوك .. ربما يتكلم كذلك ..

فى الخارج رأت (عبير) مسيرة رهيبة بالمشاعل فى ظلام الليل .. مجموعة فلاحين غاضبين يحملون جثة ويمشون .. النار فى المشاعل وفى العيون والصدور ...

قال لها المرشد :

ـ « هذه هى المشاهد الأيقونية .. لقد حفر هذا المشهد فى عقلك الباطن ، ومن السهل أن تذكرى اسم الرواية على الفور .. »

قالت فى انتصار :

ـ « شىء من الخوف .. ثروت أباظة .. »

ـ « هل رأيت ؟ »

قالت فى خيبة أمل وهى تراجع أفكارها :

ـ « هذا لا يدل على شىء .. هناك فيلم سينمائى رائع لحسين كمال حفر هذا المشهد فى أذهاننا للأبد .. أى جاهل لا يجيد القراءة سوف يجيب عن هذا السؤال .. »

نظر خارج النافذة وأشار إلى مشهد مألوف بعض الشىء ..

هناك شارع ضيق من شوارع القاهرة القديمة .. هناك حلاق مكتنز يجلس أمام متجره ، وهناك فتاة لعوب بالملاءة اللف تمشى متأودة بتلك الطريقة التى هى خليط من الدلال ومحاولة المشى بشبشب ذى كعب عال .. لو لم تتأود لسقطت على عنقها وتحطم .. الفتاة تمشى وسط مجموعة من الجنود البريطانيين الثملين الذين أصابهم الذهول لرؤية سحرها. هناك رجل قبيح جداً مشوه ضامر الجسد يرمق المشهد فى خبث ..

قالت (عبير) فى انتصار :

ـ « حميدة .. زقاق المدق .. زيطة صانع العاهات .. »

قال المرشد وهو يريح قدميه على المقعد المقابل :

ـ « هل رأيت ؟.. لا شىء يُنسى .. »

فى الخارج يتغير المشهد .. هناك عربة تجرها الخيول يقف عليها مجموعة من رجال ونساء يبدو أن اصلهم نبيل لكنهم فى

أسوأ حال ممكن. هناك جماهير غاضبة يملأ الحقد عيونها تقذفهم بالخضر والطماطم ويركضون مع العربة .. ترى عبير فى نهاية الطريق ذلك المنظر الكئيب المميز للمقصلة اختراع د. (جوزيف جيلوتين Guillotine) المشئوم الذى كان أداة لحصاد المحاصيل فصار أداة لحصاد الرءوس ..

النصل يهوى ورأس أبيض الشعر يسقط فى سلة ، فيرفعه الجلاد أمام العيون .. ويتصاعد الهتاف ... أرستقراطى آخر قد مات .. مرحى !

قال المرشد مشجعًا :

ـ « هيه ؟.. ما رأيك ؟ »

قالت فى حيرة :

ـ « لا أدرى .. هناك قصص كثيرة جدًا .. »

ـ « أنت تحيرين نفسك .. اختارى أسهل مثال وأقرب مثال إلى ذهنك .. طبعًا (قصة مدينتين) حكاية (تشارلز ديكنز) الخالدة .. »

قالت فى احتجاج :

ـ « أنت تنتخب أمثلة واضحة جدًا .. هناك قصص أعقد بكثير .. »

أشار خارج النافذة حيث ميدان واسع فى مركزه كومة عالية من الكتب .. هناك رجال يلبسون كرجال الإطفاء يحملون قاذفات لهب على ظهورهم .. يتقدمون نحو الكومة ، ثم يبدءون فى قذف اللهب لتشتعل هذه .. هناك امرأة مسنة تصرخ محاولة منعهم ، ثم تركض كى تقف وسط الكتب .. النار تتمسك بها لكنها صامدة ثابتة ، وكأنها ساحرة انتخبت الإعدام الاختيارى لنفسها ..

اللهب يتعالى ومعه الدخان الأسود لعنان السماء ..

(عبير) تغمض عينيها بكفها وتصرخ :

ـ « أنت سادى مجنون !.. »

قال فى شىء من الفخر :

ـ « لكن المشهد خالد فى ذهنك .. إنه ... هيا .. قوليها .. »

ـ « قصة برادبورى .. 451 فهرنهايت .. »

- « نعم .. نعم .. حرق الكتب والمرأة التى فضلت أن تموت مع كتبها .. وهذا المشهد ؟ »

نظرت فرأت ضابطًا فى ثياب عتيقة وطربوش ، له شارب منتصب فخيم ، يبدو لك كأنه كان فى ثورة (عرابى) ... كان يتسلل خارجًا من معبد فرعونى وسط الرمال ، وهو فى حالة انفعالية غير طبيعية .. وفى اللحظة التالية دوى انفجار مروع وتطايرت الحجارة فى كل مكان وتهاوت الأعمدة ..

قالت وهى تنفض الغبار عن ثيابها ، وتسقط شظايا الأحجار المحتشدة فى شعرها :

- « واحة الغروب لبهاء طاهر .. قرأتها مؤخرًا .. »

وعلى بعد خطوات كان هناك رجل متقدم فى العمر يبدو أنه إقطاعى ريفى ، يمسك بسوط وينهال جلدًا على فتى وسيم قوى البنية أسمر قيد إلى شجرة ، والسوط يمزقه فعلا .. من الممكن أن يفر الفتى بسهولة لكنه مصمم على تحمل العقاب لنهايته .. ومن حوله وقف الفلاحون يرمقون المشهد بينما هو يردد بلا انقطاع :

- « استرنى يا خال !.. »

عرفت المشهد على الفور ، فصاحت بلهجة الانتصار :

- « يبدو أن هذا عالم (بهاء طاهر) .. هذا مشهد من (خالتى صفية والدير) .. هذا الفتى هو (حربى) .. »

كان المرشد يلوك شيئًا كالقشور بين شفتيه ، فلفظه ثم ابتسم فى انتصار وقال :

- « هل ترين ؟.. لا شىء يموت فى ذاكرتك أبدًا .. فقط تعتقدين أنه مات حتى تأتى لحظة استدعائه ، ولو ظلت الذكريات حية فى أذهان البشر طيلة الوقت لجنوا .. »

كان القطار يبتعد الآن عن هذا المشهد وقد بدأت الثلوج تنهمر .. فقط فى فانتازيا تنهمر الثلوج على بعد أمتار من قرية صعيدية ..

هناك قطار متوقف وسط الثلوج التى غمرت القضيب ، والدخان يتصاعد منه .. طبعًا قطار فانتازيا يمشى على قضيب آخر ..

قالت وهى ترمق المشهد فى فضول :

- « إن كان القطار فاخرًا مليئًا بالسادة البريطانيين وهناك تحقيق يدور بصدد جريمة قتل ، فنحن فى (جريمة فى قطار الشرق السريع) وإن كان مليئًا بالأسرى من الحلفاء فهو (قطار فون ريان) ولربما هو (القطار السريع القطبى) أو .. مئات القصص تدور فى قطار .. »

رأت مجموعة من الجنود الذين تمزقت ثيابهم وتلطخت بالدم ، يجلسون على القضيب فوق الثلوج ويحاولون إشعال نار ليشووا أرنبًا اصطاده أحدهم .. جياع .. شرسون .. فى أسوأ حال .. ثيابهم تتكون أساسًا من معاطف وقلنسوات الفراء ..

شعرت بالبرد يجمد أطرافها فابتعدت عن النافذة وهمست بأسنان تصطك :

ـ « هذه صعبة على فعلاً .. »

ـ « هذا مشهد من د. (جيفاجو) رائعة (بوريس باسترناك) .. الرواية التى رشحته لجائزة نوبل فى الأدب ثم اضطره الشيوعيون للاعتذار عن قبولها ليثبت لهم أنه مخلص للحزب .. »

ـ « هكذا ترى إننى أنسى الكثير فعلاً .. »

قال وهو يتثاءب :

ـ « ليس بالضبط .. اسمعى .. موضوع لعبة اليوم أو مغامرة اليوم هو التالى : سوف نضعك فى حكاية نقوم بتغيير معالمها وأسلوب كاتبها المميز ، وعليك أن تخمنى أية قصة هذه .. »

ـ « رواية أم قصة قصيرة ؟ »

حك رأسه مفكرًا ثم ابتسم وقال :

ـ « لا تدخلى نفسك فى هذه التعقيدات .. هى عمل إبداعى وكفى .. على كل حال جمعيات الأدباء الأمريكية تعتمد على عدد الكلمات للتصنيف؛ فالقصة القصيرة جدًا (الخاطفة) تكون فى حدود ألف كلمة .. القصة القصيرة من 1000 إلى 7500 كلمة .. الأقصوصة 7500 إلى 17,500 كلمة .. الرواية القصيرة من 17,500 إلى 80,000 كلمة .. الرواية هى ما يزيد على 80,000 كلمة .. معنى هذا أن معظم سلاسل روايات مصرية للجيب تتراوح بين الأقصوصة والرواية القصيرة .. لكن هذا التصنيف جاف جدًا لا يضع حسابًا للمقاييس الفنية ذاتها طبعًا .. »

ـ « ما هى أقصر قصة ممكنة ؟ »

ـ « أشهر مثال هو قصة هيمنجواى التى تقول : للبيع .. حذاءا طفل رضيع .. لم يُلبسا قط .. تمّت !. هنا قصة كاملة محزنة فى ست كلمات .. دعينا من هذه التعريفات ولتعرفى ما هو مطلوب منك .. سوف تدخلين الرواية أو الأقصوصة وتعيشين أحداثها .. خطوة بخطوة .. »

ـ « وبعدها ؟ »

ـ « شرح هذا مرهق وصعب .. فقط عيشى المغامرة وعندما تنتهى سوف تعرفين ما هو مطلوب منك .. »

ـ « وماذا لو لم أعرف القصة ؟ »

- « سيكون هذا مؤسفًا .. لكن أشك أن تفشلى وأنت تملكين ما يطلقون عليه (الفتاكة) المصرية .. عندما تدور القصة على ضفاف بحيرة فمن السهل على أى كائن أن يخمن أننا نتكلم عن (البحيرة الزرقاء) قصة ستاكبول .. عندما تقرئين عن مستكشفين فى حملة فى أدغال أفريقيا فنحن بصدد (كونغو) غالبًا .. كم قصة تتحدث عن البلاط الفرنسى والمؤامرات والمبارزات والكاردينال غير (الفرسان الثلاثة) ؟ »

- « هناك ألف قصة تتحدث عن البلاط الفرنسى والمؤامرات والمبارزات والكاردينال .. »

قالتها بعناد البغال ، فقال :

- « لهذا سوف تجدين قائمة الكتب المستخدمة فى الفصل التالى لتختارى منها .. هذه هى قطع اللعبة ولن نستخدم غيرها .. »

فكرت حينًا .. بدا لها هذا مسليًا .. ربما تذكرت قصة (اللغز) التى عاشتها من قبل ، لكنها كانت تضطرب فى شباك خيال مؤلف معدوم الموهبة ، أما اليوم فسوف تجرب شباك مؤلفين عباقرة أو على الأقل حقيقيين ..

لا تعرف بعد ما هو المطلوب منها سوى التخمين ، لكنها ستعرف فى نهاية القصة .. وعندئذ ..

قائمة القصص والروايات التى ستختار (عبير) منها :

1) قنديل أم هاشم بقلم يحيى حقى .
2) ابنة الحظ بقلم إيزابيل اللندى
3) التفاحة والجمجمة بقلم محمد عفيفى
4) العطر بقلم باتريك زوسكند
5) الصقر المالطى بقلم داشييل هاميت
6) يوميات مصاص الدماء بقلم آن رايس
7) شىء ما شرير من هذا الطريق يأتى بقلم راى برادبورى
8) واحة الغروب بقلم بهاء طاهر
9) الذى اقترب فرأى بقلم علاء الأسوانى
10) نفوس معقدة بقلم روبرت بلوخ
11) رجل المائتى عام بقلم إيزاك أسيموف
12) دعاء الكروان بقلم طه حسين
13) الأبله بقلم دستويفسكى
14) بيت من لحم بقلم يوسف إدريس

15) خمارة القط الأسود بقلم نجيب محفوظ

16) فرانكنشتاين بقلم مارى شيلى

17) البرج المظلم بقلم ستيفن كنج

18) دون كيشوت بقلم سرفانتس

19) طرزان بقلم إدجار رايس بوروز

20) كانديد بقلم فولتير

21) البخيل بقلم موليير

22) دراكيولا بقلم برام ستوكر.

23) أحمر وأبيض بقلم ستندال

24) البوسطجى بقلم يحيى حقى

25) سارة بقلم عباس العقاد

26) إبراهيم الكاتب بقلم ابراهيم المازنى

27) إله الذباب بقلم ويليام جولدنج

28) هاكلبرى فان بقلم مارك توين

29) العجوز والبحر بقلم ارنست هيمنجواى

30) المحاكمة بقلم فرانتس كافكا

31) 1984 بقلم جورج أورويل

32) قصة مدينتين بقلم تشارلز ديكنز

33) كريستين بقلم ستيفن كنج

34) كونغو بقلم مايكل كرايتون

35) العصابة الرقطاء بقلم آرثر كونان دويل

36) الأم بقلم بيرل بك

37) أربع وعشرون ساعة فى حياة امرأة بقلم ستيفن زفايج

38) مراقبة القطارات بقلم إرفنج ولش

39) أجمل غريق فى العالم بقلم جابرييل جارسيا ماركيز

40) الغريب بقلم ألبير كامو

41) ذكاء صناعى بقلم برايان ألديس

42) قلعة أوترانتو بقلم هوراس والبول

43) ظل فوق إنزماوث بقلم هـ . ب. لافكرافت

44) كيس بقلم هـ . ج. ويلز

45) خمسة أسابيع فى منطاد بقلم جول فيرن

46) لا أحد ينام فى الاسكندرية بقلم إبراهيم عبد المجيد

47) مرتفعات وذرنج بقلم إميلى برونتى

48) طفل روزمارى بقلم إيرا ليفين

49) البحيرة الزرقاء بقلم دى فير ستاكبول

50) طارد الأرواح الشريرة بقلم وليام بيتر بلاتى

51) نداء المجهول بقلم محمود تيمور

52) نائب عزرائيل بقلم يوسف السباعى

53) ابنة عمى راشيل بقلم دافنى دو مورييه

54) غرناطة بقلم رضوى عاشور

55) مدن الملح بقلم عبد الرحمن منيف

56) الطيور بقلم دافنى دو مورييه

57) رسول القيصر بقلم جول فيرن

58) د. جيكل ومستر هايد بقلم ر. ل. ستيفنسون

59) الحارس بقلم آرثر كلارك

60) منزل الموت الأكيد بقلم ألبير قصيرى

61) عناقيد الغضب بقلم جون شتاينبيك

62) قليل من الشمس فى الماء البارد بقلم فرنسواز ساجان

63) مدام بوفارى بقلم جوستاف فلوبير

64) الأب جوريو بقلم أنوريه دى بلزاك

65) ذاكرة الجسد بقلم أحلام مستاغنمى

66) د. جيفاجو بقلم بوريس باسترناك

67) آسيا بقلم إيفان تورجنيف

68) السماء يمكن أن تنتظر بقلم إريك ماريا ريماك

69) بيت الأرواح بقلم إيزابيل اللندى

70) خريف الدرويش بقلم إبراهيم الكونى

71) صهاريج اللؤلؤ بقلم خيرى شلبى

72) مع سبق الإصرار والترصد بقلم ترومان كابوت

73) أشياء صغيرة بقلم أوى كنزبورو

74) نداء كتولو بقلم لافكرافت

75) صوت رعد بقلم راى برادبورى

76)عالم الغرب بقلم مايكل كرايتون

77) وردة بقلم صنع الله إبراهيم

78) زقاق المدق بقلم نجيب محفوظ

79) شىء من الخوف بقلم ثروت أباظة

80) لاعب الشطرنج بقلم ستيفن زفايج

81) المقامر بقلم دستويفكسى

82)طعام الآلهة بقلم هـ . ج. ويلز

83)شفرة دافنشى بقلم دان براون

84)البخلاء بقلم الجاحظ

85) الفرسان الثلاثة بقلم الكسندر دوما

86) أرواح شريرة بقلم هنرى جيمس

87) عالم شجاع جديد بقلم ألدوس هكسلى

88) آلة الزمن بقلم هـ . ج. ويلز

89) اسم الوردة بقلم أومبرتو إيكو

90) هانيبال بقلم توماس هاريس

91) السقا مات بقلم يوسف السباعى

92) اللؤلؤة بقلم جون شتاينبك

93) أحزان الشيطان بقلم مارى كوريلل

94) القط فى القبعة بقلم د. سويس

95) الأقزام بقلم روالد دال

96) صورة دوريان جراى بقلم أوسكار وايلد

97) تريز راكان بقلم إميل زولا

98) الأرض التى غفل عنها الزمن بقلم إدجار رايس بوروز

99) مزرعة الحيوانات بقلم جورج أورويل

100) أغنية المهد بقلم تشاك بولانيك

101) نيتوتشكا نزفانوفا بقلم دستويفسكى

102) العيب بقلم يوسف إدريس

103) صائد الفراش بقلم وليام فاولر

104) جرمينال بقلم إميل زولا

105) أنت تعيش فقط مرتين بقلم إيان فلمنج

106) هو بقلم ستيفن كنج

107) كلام الموتى بقلم برايان لوملى

108) جاتسبى العظيم بقلم سكوت فيتزجيرالد

109) قصة حب بقلم إريك سيجل

110) تايبيى بقلم هيرمان ملفيل

111) القلعة بقلم أ ج كرونين

112) بنك القلق بقلم توفيق الحكيم

القصة الأولى :

كان يحتاج لعونى

- 1 -

مونت كارلو ..

حيث قرر شيطان القمار أن يغرس عصاه ويبنى خيمته .. لقد غرس عصاه هنا وفى (لاس فيجاس) بالولايات المتحدة ، لكن (موناكو) إمارة يقوم دخلها كليًا على القمار والملاهى الليلية ..

عرفت هذا على الفور برغم أنها لم ترها من قبل قط .. الأضواء الساطعة فى كل مكان وزحام العربات والسادة المتأنقين. مونت كارلو فى وقت ما من بدايات القرن العشرين ..

وقفت تنظر إلى الشوارع .. ثم اتجهت إلى متجر مفتوح يعرض بعضًا من أزياء العصر الأنيقة . هذا الثوب الأسود يصلح كبطانة للزجاج .. هكذا ترى نفسها بوضوح وتعرف من هى ..

هى امرأة فى الأربعين من العمر .. يبدو أنها كانت على قدر من الجمال .. أنيقة جدًا .. وقور بشدة يشع من عينيها جلال أنثوى مهيب ساحر ..

قالت لنفسها :

- « ليكن .. ترى ما اسمى ؟ »

خرجت الكلمات بتلك اللغة المنمقة التى تشعرك بأنها تدس بعض البلى فى فمها وتخشى أن يسقط .. مخارج حروف بريطانية جدًا .. هى إذن سيدة بريطانية .. على الأرجح هى أرملة أو عانس كما تكون كل السيدات البريطانيات فى القصص ..

ثم فجأة عرفت أنها بالفعل أرملة وحيدة .. ثرية جدًا ومن أسكتلندا ، توفى زوجها بمرض كبدى بينما ابتعد ابناها بين الجيش والدراسة ..

إنها تشعر بوحشة بالغة .. تشعر أن حياتها انتهت بالفعل ، وفى الوقت ذاته لا تصدق أن كل شىء انتهى وهى فى الأربعين ..

هذه مشكلة من يبدءون مبكرًا .. كل شىء ينتهى بسرعة ..

نحن نعيش من أجل أمل .. الزواج من حبيبة .. الثراء .. النجاح .. الشهرة .. أن يكبر الصغير .. أن يتزوج الأولاد .. عندما نجد أنفسنا بعد هذا كله ، وعندما يصير الأمل خلفنا نشعر بأن اللعبة انتهت .. لا شىء سوى ظلام دامس يمتد إلى ما لا نهاية .. إلى لحظة يغمضون عيوننا ويحملوننا إلى القبر ..

كانت تحلم بهذه الراحة ، لكنها بالطبع لن تستعجلها بنفسها..

من الغريب أن (مونت كارلو) كانت العلاج لمشكلتها ..

لا .. هى لم تنخرط فى القمار كما حدث مع أبطال (دستويفسكى) الذين دخلوا الملاهى وهم يلعنون هذا الداء الاجتماعى ، ثم ظلوا هناك بالداخل للأبد ..

كانت أكثر حكمة وتحفظًا من ذلك ، لكن مونت كارلو قدمت لها المعادل العتيق لشاشة التلفزيون .. كل النساء يعشقن شاشة التلفزيون والتمثيليات الدرامية التى تدور عليها .. مونت كارلو كانت تجعلك ترى دراما حقيقية مسلية جدًا ..

هناك ترى السعادة أو الحزن على وجوه الناس ، واعتادت أن تعرف بريق الجنون فى العيون .. ترى الثرى الذى يجرب لأول مرة فيربح .. يعتقد أن الحظ حليفه فيلعب من جديد .. يخسر .. يقرر أن يلعب أكثر ليربح .. يخسر .. يجد أنه دخل دوامة لا مفر منها .. فى النهاية يدرك أنه فى ليلة واحدة بدد ما جمعه من مال طيلة عشر سنوات ..

كل ما حرم نفسه منه .. كل المتع التى منع نفسه عنها كى يدخر المزيد من المال .. كل هذا يتبدد فى ساعات على عجلة الروليت الدوارة التى تسحق أحلامه ، أو لعبة البلاك جاك ، أو كل ألعاب الورق التى لا غرابة فى أن كثيرين يعتقدون أن الشيطان هو مخترعها الأصلى ..

تذكرت (عبير) أنها كانت تأتى مع زوجها كثيرًا هنا فى الماضى ، لمراقبة اللاعبين ..

الأمر إذن لا يخلو من وفاء لذكرى زوجها..

* * *

علمها زوجها طريقة خاصة لمراقبة اللعبة ..

لا تنظرى إلى الوجوه بل أنظرى إلى الأيدى !

الأيدى الشاحبة المرتعشة المتوترة .. مهما أجاد المرء التحكم فى ملامح وجهه فهو لا يقدر على أن يأمر يده فتمتثل .. الأيدى تبرز من الأكمام فتبدو كأنها وحوش متحفزة تخرج أعناقها من فتحات مغارات .. أيد ناعمة بضة كالأفاعى ، وأيد مشعرة فظة كالدببة ..

الأيدى تمسك بالنقود .. تزيحها لمركز المائدة الخضراء قبل أن تظهر المجرفة الشبيهة ببلدوزر مخيف ، يجرف الآمال من أمام هذا وذاك ليضعها أمام ذاك أو يسلب الجميع آمالهم ..

أيد مسترخية .. أيد بخيلة .. أيد رزينة ..

كلما ركز اللاعب على قسمات وجهه أكثر نسى يديه .. وبدت حقيقته أكثر ..

أيدى مراقبى اللعب آلات صماء محايدة .. تختلف فى كل شىء عن الأيدى الصاخبة من حولها ..

الحق أنها كانت لعبة مسلية فعلاً ..

كان لقاؤها فى تلك الليلة مع هذه اليد العجيبة التى تراقب لعبة (الروليت). الكرة تدور والكل يراقبها منتظرًا اللحظة التى تتوقف فيها عند لون ما ..

رأت أجمل يدين رأتهما فى حياتها .. هاتان يدان فريدتان رشيقتان .. متوترتان توشك كل يد منهما على تهشيم الأخرى .. هذا رجل يوشك على الانفجار ، لكنه حبس انفعالاته فى أنامله ..

توقفت الكرة أخيرًا عند لون ما ..

هنا فقط همدت اليدان وسقطتا كأنهما حيوانان ميتان تلقيا رصاصتين قاتلتين ..

لقد انتهى كل شىء ...

لقد خسر هذه اللعبة ..

* * *

- 2 -

من جديد تعتصر اليد الأسطورية فيشة لعب أخرى وتضعها فى خانة من خانات عجلة الروليت ..

(عبير) لا تفهم اللعبة جيدًا لكنها كانت قادرة تمامًا على معرفة هل الفتى يخسر أم يكسب من الحياة الكاملة فى يديه. ترتعش اليدان بلا توقف بانتظار دوران عجلة الحظ ..

هذا الفتى يخسر .. والمشكلة هى أن حياته كلها تتوقف على هذه اللعبة ..

نموذج شائع جدًا فى ملاهى القمار ، لكن ليس بهاتين اليدين ! ليس بهذا الوجه !

بحذر تتسلق عيناها كمه .. ثم بذلته .. ثم ياقته .. ثم تتوقف عند الوجه ..

وجه نبيل جميل لكنه ميت لا يعطى أى تعبير من أى نوع ..

فى الرابعة والعشرين من العمر تقريبًا . لا يحمل فى ملامحه أى أثر للرجولة أو الخشونة .. هو وجه فتاة تقريبًا .. بل للدقة هو وجه طفل .. نعم .. هو كذلك !

خصلة الشعر الشقراء التى تسقط على جبهته تضاعف هذا الإحساس بأنه صبى يلعب . ظلت (عبير) ترقب هذا الوجه حتى أنها لم تفطن أن ساعة كاملة مرت وهى عند هذه المائدة بالذات تنظر لذات الشىء ..

كان يربح ربحا ضئيلاً ، فيغامر به كله فى مربع آخر .. وسرعان ما يخسر هذا الربح .. لمدة ساعة أخرى لم يفعل سوى هذا ..

وعرفت (عبير) أن اللحظة المخيفة قادمة لا شك فيها .. اليدان ترتجفان .. تنتفضان .. تتوتران .. ثم تهمدان تمامًا .. بينما يصيح مراقب اللعب :

ـ « صفر ! »

ومعناها أن أحدًا لم يربح سوى الكازينو نفسه.

هنا راح الفتى يفتش فى جيوبه عن بقايا مال .. أية قطع عملة .. لا شىء .. لا شىء على الإطلاق .. لقد بلغ مرحلة الإفلاس الكاملة ..

نهض فجأة فسقط مقعده .. وابتعد عن المائدة فى خطوات متثاقلة غير مبال بنظرات الدهشة ..

لا تحتاج (عبير) إلى ذكاء كبير كى تعرف إلى أين يذهب هذا الفتى .. تعرف هذا من مشيته وكتفيه ووجهه المقبض .. لقد أفلس تمامًا وليس معه مليم ..

إذن هو ذاهب إلى العالم الآخر ..

* * *

رأته يغادر القاعة ..

يقف فى استسلام للخادم الذى يلبسه معطفه ، كأنه يلبس رجلاً مشلولاً .. ثم هو يتجه للباب ..

فى هذه اللحظة نسيت (عبير) كل شىء عن التحفظ والوقار والانشغال بشأنك الخاص. ركضت خلف الفتى .. كان تصرفًا غريزيًا أحمق يشبه ما يقوم به بعض الناس عندما يقفزون فى الماء لإنقاذ غريق ، وهم لا يجيدون السباحة ..

لا تعرف ما تريد عمله ، ولو عرفت لما عرفت كيف تفعله .. فقط راحت تركض وراءه ..

هناك كان جالسًا فى الحديقة الخارجية للكازينو وقد أرجع رأسه للخلف وتدلى ذراعاه جواره . هذه جثة يخفق قلبها لا أكثر .. على كل حال هو ميت فعلاً .. لن يلبث أن يخرج مسدسًا من جيبه و ... بوم .. وفى الصباح يجد رجال الشرطة جثة تفجر رأسها ..

ماذا تفعل ؟

هى وحدها فى هذه الحديقة مع رجل شبه ميت .. وفى هذه الإضاءة الضعيفة التى تصنعها مصابيح الإضاءة فى الشارع ، ثم فجأة يتلف ذلك الصنبور العملاق فى السحب فينهمر المطر بغزارة .. كأن هذا كله غير كاف ..

المرعب فى الأمر أنها توارت تحت مظلة ، لكن حطام الأحلام هذا ظل حيث هو .. لم يتحرك على الإطلاق .. دعّم هذا لديها فكرة الجثة المخيفة ..

سيول تنهمر .. الناس تركض فى كل مكان لتتوارى ، أما الشاب فظل جالسًا لا يبالى ..

هنا صار الأمر أقوى منها .. ركضت تحت المطر إلى حيث كان ذلك الفتى وأنهضته قائلة فى حزم :

ـ « تعال ! »

لم يتكلم .. لم يقاوم .. مشى معها إلى حيث مكان يحميهما من المطر .. يجب أن تضعه فى موضع بعيد عن البلل ..

قالت له فى حزم :

ـ « أين تقيم ؟ »

قال :

ـ « جئت من (نيس) .. وليس معى نقود ! »

ـ « إذن فلنستأجر غرفة لك فى أى فندق .. لابد من مأوى .. »

هنا فطنت إلى كلامه عن النقود ... لقد حسبها جاءت لغرض آخر غير إنقاذه من المطر !.. كلامها كان موحيًا وقد فهمه بالطريقة الخطأ ...

ـ « ليس معى نقود . »

عاد يكرر فى استهتار آذاها نفسيًا ..

ـ « لا تحمل همًا للمال .. أنا سوف أتصرف .. تعال .. »

كانت الآن قد حطمت عشرات من حواجز التحفظ الإنجليزى .. ولم تعد تعرف ما يجب عمله. سوف تأخذه لأى فندق وتستأجر له غرفة وتترك له بعض المال يكفيه للعودة إلى (نيس) .

رفعت المظلة تستوقف عربة يجرها حصان ، وساعدت الفتى على الركوب وجلست جواره .. إنها تتذكر شيئًا كهذا فى قصة ما ، لكنك تعرف هذه الأمور .. اسم الرواية كالبعوضة لا يمكنك اقتناصها أبدًا إلا إذا جلست ساكنًا وكففت عن المحاولة .. سوف تهبط على ذراعك وتتهيأ للدغ عندئذ ..

الحصان ينهب الطرقات تحت الأمطار ، والقطرات تتناثر على ظهره .. صوت الحوافر ..

ـ « أريد فندقًا رخيصًا .. »

هذا ما قالته للحوذى .. وهو ما فعله بالضبط ..

ناولت الفتى بعض المال ، لكنه أعاده لها وقال وهو يغمض عينيه :

ـ « لا جدوى .. سوف ينتهى كل شىء بالنسبة لى غدًا ... هذه النقود لن تؤخر النهاية المحتومة .. »

قالت مهدئة خاطره :

ـ « نم .. وفى الصباح يتغير الكثير .. جرب .. »

لكنه أعاد لها المال وقال فى عناد :

ـ « هذا المال لن يفعل شيئا سوى أن أعود للملهى لأخسر المزيد !.. حتى ألف فرنك لن تفيدنى كثيرًا .. فقط علىّ أن أفعل هذا بعيدًا عن الفندق حتى لا ألوث غرفتى بالدم ! »

ـ 3 ـ

انفجرت مغتاظة فيه .. ليته يعرف قيمة الشباب الذى يريد أن ينهيه لمجرد أنه خسر بضع مئات من الفرنكات .. سوف ينام الليلة حتى الصباح ، وفى الصباح سوف تأخذه من يده لمحطة القطار ليعود لبلدته ..

حاول أن يقاوم .. لكنها كانت صارمة وكانت تتصرف كأم ..

هنا انفتح باب الفندق وظهر الحارس يتساءل عما هناك .

هتفت (عبير) على الفور وهى تخرج نقودها من حقيبتها :

ـ « السيد يريد غرفة لليلة واحدة فى فندقكم ! »

* * *

عادت لفندقها وكان الوقت قد تأخر ..

الغريب أنها تشعر نحو ذلك الصبى التعس بعاطفة ليست شفقة كلها .. ليست أمومة كلها .. ليست بالضبط العاطفة التى نشعر بها نحو قط صغير مبتل تحت الأمطار ..

هناك شىء آخر .. شىء أقوى ..

وللمرة الأولى تدرك أن حياتها جافة جدًا .. لقد اعتبرتها انتهت ثم أدركت أنها من الممكن أن تبدأ من جديد .. شعور أزعجها وأثار رعبها .. كل عواطف الأنثى نحو الرجل تحوى فى جزء منها نوعا من الأمومة ، وقد كان ما تشعر به نحو هذا الفتى خليطًا من كل شىء ..

فى الصباح هرعت للمحطة لتعرف مواعيد القطارات إلى (نيس) ، ثم عادت إلى الكازينو الذى اتفقت على لقاء الفتى فيه ، وقد بدأت تشعر بأنها أنقذته فعلاً..

للمرة الأولى سوف ترى وجهه بوضوح ويرى وجهها بوضوح .. لهذا هى متوترة ..

رآها فنهض ..

لقد منح الله هذا الفتى موهبة غريبة هى أن وجهه ويديه مرآة لروحه وانفعالاته .. كان يحمل لها أعنف آيات العرفان بالجميل . ثم زاد الطين بلة أنه جثا على ركبته وراح يلثم أطراف أناملها ..

نفس الميدان الكئيب المظلم أمس دبت فيه الحياة وغمرته الشمس ، وتناثرت فيه متاجر الأزهار ..

هناك جلسا يتكلمان .. وللمرة الأولى لم يعد مجرد يد حساسة على مائدة خضراء بل له قصة..

إنه مشروع دبلوماسى شاب من أصل بولندى ، قرر عمه أن يحتفل بتفوقه الدراسى فاصطحبه إلى مونت كارلو .. عندما رأى الفتى ساحة القمار والمكاسب السهلة التى تجعلك من أثرى الأثرياء فى ثانية ، تلاشت قيمة الكفاح أمام عينيه ..

لم يعد يأكل أو ينام ..

المشكلة فى هذه اللعبة القذرة أنك لا تبدأ بالخسارة ، بل تكسب عدة أدوار فى البداية . هكذا تعتقد أن الحظ حليفك وأنك تختلف عن الآخرين .. هكذا تلعب من جديد .. هكذا تخسر .. هكذا تلعب لتعوض خسارتك .. هكذا تخسر .. هكذا تمر عليك أيام فى الملهى ، ولعلك واجد ورقة مالية أخيرة فى جيبك تصلح لشراء عشاء فتفضل أن تلعب بها !!

خسر كل ما معه .. ثم بدأ يسرق .. سرق من عمه .. ثم سرق ليعوض ما سرقه من عمه .

فى النهاية لم يبق معه سوى مسدس صغير عرف جيدًا ما سيفعله به .. أربع رصاصات بينما واحدة تكفى ..

كان يحكى لها هذا كله ، بطريقته التى تجعل كل ذرة من كيانه تشارك فى القصة ..

قالت له لما انتهى :

ـ « عدنى بأن تغادر المدينة المشئومة ولا تعود لها أبدًا .. وأنا سأعطيك المال الذى سرقته من عمك .. حاول أن ترده سريعًا ثم غادر .. »

ارتسمت سعادة نورانية على وجهه .. سعادة كالطيف ..

الحق إن هذا الفتى قد ولد من جديد فعلاً ..

وفى عينيه ترقرقت آيات العرفان كما لم ترها من قبل . الشمس تتخلل شعره فتجعله ذهبيًا مما يجعله فعلاً أقرب إلى طفل كان يمكن أن يكون جثة الآن ..

لولاها !

راحا يتنزهان فى عربة يتجليان جمال البلدة بعد ما غسلتها أمطار أمس .. بدا كأنه طفل حريص على إرضاء أمه .. تشير لزهرة فيثب ليقطفها لها ..

عرفت أنه شاب راق فعلاً .. ومتدين كذلك .. لِمَ لا ؟.. المتدينون يخطئون كغير المتدينين وربما أكثر ، لكن لديهم من يطلبون منه الصفح والمغفرة ...

رأته يرسم علامة الصليب لدى المرور بكنيسة فأمرت الحوذى بأن يتوقف ، ثم جرته من يدها إلى الداخل حيث المذبح .. وقالت له :

ـ « أقسم هنا أنك لن تلعب القمار أبدًا .. أبدًا ! »

تلا القسم ، ثم اندمج فى عبارات قصيرة حارة متهدجة باللغة البولندية ..

التفت لها وضحك بعينين دامعتين وقال :

ـ « كنت أشكر الله على أنه أرسلك لى !.. أنت ملاك حقيقى . »

عادا إلىَ فندقها فصعدت لغرفتها ، ثم عادت له بمبلغ المال الذى وعدته به .. وطلبت منه أن يتواجد فى المحطة فى السابعة مساء ..

نصف ساعة قبل موعد القطار .. لكنه رفض أن يأخذ المال .. أصرت على أن يفعل فتناول المال فى رعب لا تعرف سببه ، ودسه فى جيبه مشمئزًا .. وأصر على أن يكتب لها إيصالاً بالمبلغ لأنه سيرده يومًا ما ..

انحنى لها انحناءة عظيمة ومن جديد لمس أناملها ثم هرع يختفى ..

- 4 -

حتى هذه اللحظة ظلت (عبير) عاجزة عن تذكر القصة .. تبدو مألوفة لها ، لكنها عاجزة عن تذكر الحركة النهائية فى السيمفونية ..

هذا الجو الفرنسى العام .. هل هذه قصة (تريز راكان) ؟.. هل قصة ما لـ (جى دو موباسان) أو (بلزاك) ؟ ربما (المقامر) لـ (دستويفسكى) ؟.. نعم .. تبدو قريبة جدًا .. قصة عن القمار فماذا تكون إن لم تكن (المقامر) ؟.. المشكلة فقط أن الأمر لا يمكن أن يكون بهذه السهولة ..

كان شعور ممض يعذبها .. هى لا تقدر على ترك هذا الشاب !.. هى تحبه فعلاً ، وإن كانت العاطفة غير متبادلة طبعًا .. إنه يصغرها بعشرين عامًا أو أقل قليلاً ..

لكنها وجدت نفسها تتصرف بخرق لا يوصف .

السيدة البريطانية المهذبة جنت تقريبًا .. ها هى ذى تعد حقائبها وتحجز لنفسها مكانًا فى قطار السابعة والنصف !

سوف تكون معه .. ترافقه .. تحميه من نفسه إلى الأبد ..

لشد ما سيندهش عندما يفارقها فى المحطة ليجد أنها تركب ذات القطار معه !

لكن الظروف لم تكن فى صالحها .. عندما تكون متعجلاً تقابل كل الناس الذين لا تريد مقابلتهم ، وتحتشد كل المناسبات المؤجلة ، وكل المواعيد التى نسيتها ..

هكذا عندما دخلت المحطة كانت السابعة والنصف قد مرت ، ورأت القطار يبتعد فى صمت ..

وقفت تراقبه كتمثال .. ترتجف .. تأمل فى أن يتوقف أو ترى وجهًا مألوفًا من نافذته ..

لقد رحل القطار ورحل الفتى ورحلت فرصتها الأخيرة للحب ..

* * *

عادت تمشى فى تلك الأماكن التى قابلته فيها .. تجتر مذاق ليلة أمس كما تجتر الماشية العشب .. تشبيه غير شاعرى لكنه موفق ..

الحديقة .. الكازينو .. قاعة المقامرة .. المغامرة القصيرة التى هزتها حقًا ..

نظرت للأيدى من جديد وتذكرت يديه الحساستين .. ثم ..

مستحيل !.. هاتان يداه فعلاً .. هى لا تتخيل ..

إنه هو !.. يجلس فى ذات موضع أمس ..

لقد بقى الوغد .. لم يركب القطار كما وعدها ..

دنت منه والغيظ يعتمل فى صدرها .. توشك على الانفجار .. وقفت جواره تراقبه .. من جديد هاتان يداه مجنونتان ترتجفان ، وهذا وجهه المحموم الذاهل محتقنًا بالحمى ..

إنه يربح هذه المرة .. المال يتكدس أمامه ..

الكرة تدور لتسحق النهاية السعيدة للقصة التى رسمتها فى ذهنها .. لم تنته القصة نهاية سعيدة بل انتهت بمأساة ..

لمست كتفه فنظر لها بعينين زجاجيتين لا تفقهان .. ثم تذكرها فابتسم وقال :

ـ « الأمور تسير على ما يرام ..! على ما يرام .. »

ضغطت بقسوة على ذراعه وقالت :

ـ « تذكر أنك أقسمت فى الكنيسة .. آمرك أن تغادر هذه المائدة فورًا ! »

نظر لها فى ذهول وارتجفت شفته السفلى وهمس :

ـ « نعم .. نعم .. معك حق .. ولكن .. دعينى أجرب هذه اللعبة فقط .. فرصة أخيرة لى .. »

ووضع بضع قطع النقود مراهنًا على رقم جديد .. وسرعان ما غاب عن الوجود فلم يعد يشعر بوجودها ..

هزته فى عنف وصاحت :

ـ « يا لك من تعس !.. قلت لك أن تنهض ! »

هنا حدث أغرب وأقسى شىء توقعته أو لم تتوقعه ..

لقد نظر لها فى توحش كأنه مسعور وسال اللعاب من فمه وصرخ :

ـ « أنت نحس !.. ألم تلحظى أن وجودك قربى يقترن بالخسارة ؟ »

كادت ترد عليه لكنه هب ليدفعها للخلف بقوة .. وصرخ أمام كل الناس المشدوهين :

ـ « اغربى عنى !.. خذى مالك العفن إن كان هذا ما يبقيك ! »

ورمى فى وجهها بعض الأوراق المالية .. كل الناس ينظرون وبعضهم بدأ يتغامز فى سخرية ..

هرعت تغادر المكان شاعرة بأنها جردت من ثيابها أمام كل هؤلاء .. يجب أن تتوارى سريعًا .. لو كان هذا تحت الأرض لكان أنسب .. فقط لترفع عينها لتجد أن قريبة لها تنظر لها فى دهشة !!.. لقد رأت كل شىء ..

غادرت الكازينو . مشت فى الحديقة اللعينة أمامه ثم لم تعد قدماها قادرتين على حملها أكثر ..

لقد عوملت بحقارة .. عوملت كبائعة هوى والأدهى أن هذا أمام الناس جميعًا ..

وقريبتها كذلك !

اختارت بالذات ذات المقعد الذى جلس عليه الفتى أمس وجلست ذات جلسته ..

كانت ترتجف ..

أقسى خبرة مرت فى حياتها ، وكانت تدرك أنها لن تنساها أبدًا ولن تنسى المهانة التى شعرت بها بينما الفتى يقذف المال فى وجهها ويشتمها .. سوف تؤرقها كل ليلة إلى أن تموت ..

وكل هذا لأنها أرادت له الصلاح !

كانت تبكى عندما شعرت بمن يقف خلفها فى ثبات فأجفلت ..

استدارت للخلف فرأت المرشد واقفًا فى استمتاع .. يبدو أن الموقف مسل جدًا ..

قال لها بصوته الرتيب :

ـ « هل خمنت القصة ؟ »

ـ « وهل القصة انتهت ؟ »

ـ « تقريبًا .. فقط سوف ترحلين أنت إلى قرية فرنسية صغيرة لا يعرفك أحد فيها ، لأنك تشعرين أن كل الناس تعرف هذه الفضيحة .. وسوف تعيشين هناك بقية حياتك .. أما الشاب فلسوف تسمعين بعد سنوات عن دبلوماسى بولندى شاب انتحر فى مونت كارلو منذ أعوام .. ولسوف يشعرك هذا بالراحة برغم قسوته .. »

جففت دموعها بمنديلها الحريرى وقالت :

ـ « قصة قاسية جدًا .. »

ـ « لكنها درة أدبية حقيقية وكاتبها أو كاتبتها عبقرى أو عبقرية جدًا .. والآن أرجو أن تنهضى .. لأن هناك قصة أخرى .. فقط أرجو أن تذكرى لى اسم القصة التى عشتها الآن .. »

* * *

قال لها المرشد على سبيل (التغشيش) :

ـ « ككل قصة أخرى هناك مشهد أيقونى حفر فى ذاكرة من قرأ هذه القصة .. مشهد سيدة وقور فى الأربعين يلقى فتى مستهتر فى العشرين أوراق النقد فى وجهها فى أحد ملاهى قمار (مونت كارلو) .. لو استرجعت هذا المشهد لتمكنت من معرفة القصة ! »

هل عرفت القصة ؟.. جميل ..

ابحث عن رقمها فى القائمة المنشورة ..

والآن .. ابحث عن كتيب فانتازيا الذى يحمل ذات الرقم .. ضعه بقربك لأننا سنرجع إليه حالاً ..

القصة الثانية

اسحبْ ..!

- 1 -

نغمات على البيانو ..

ليس بيانو كالذى تراه فى الكونشرتو ولا ذلك البيانو الذى فى مدرستك ، لكنه بيانو مرهق اخترقته ثقوب الطلقات وأطفئت فيه مئات من أعقاب السجائر .. بيانو عامل جدًا مطحون جدًا ..

يعزف على البيانو عازف نحيل مصاب بالسل يضع السيجار فى فمه ويلوكه كأنه إصبع (كفتة) ومن الواضح أنه منطفئ ..

ومن مكان ما فى الصالون تدوى الضحكات الخليعة .. وهناك ضحكات أخرى فظة تنتهى بالسعال والبصاق بينما تخرج الدولارات لتلقى على المائدة الخضراء ..

يلتف الرجال حول المناضد يجرعون الجعة ، ويدخنون السجائر .. تدخين .. تدخين تدخين حتى أن دخانهم ينعقد فى الهواء والإضاءة الخافتة فلا يتزحزح .. يحتاج إلى إعصار كاسح يبعد هذه السحابة قليلاً .. عيناك تحرقانك ..

تنظر إلى (بيتر) الذى راح يرقب هذا كله فى انبهار وصدره يعلو ويهبط .. نظر لها وقال :

ـ « هذا جو رجولى جدًا .. لا أعتقد أنه سيروق لك كثيرًا .. »

قالت فى ضيق :

ـ « أنا مرغمة على أن أكون معك هنا .. »

كان (بيتر) شابًا وسيمًا فى الثلاثين من عمره ، لكنه كذلك أقرب للنعومة .. هاتان اليدان وهذا الوجه الحليق .. تلك علامات الثراء وأنه لم يبذل جهدًا فى حياته أعنف من عد النقود. هكذا كان يختلف كثيرًا عن الآخرين الذين امتلأت ثيابهم بالبقع والغبار والتمزقات ، وكذلك وجوههم بالندوب والخدوش ... فى الواقع كان يبدو كما هو فعلاً : شاب ثرى مترف يلبس مثل الرجال الخشنين الحقيقيين ..

الكل كان يمزح ويتصايح فلم يلحظ أحد وجودهما ، على أنها كانت تدرك أن هذه فانتازيا .. فقط فى فانتازيا يتجاوز الرجال عن وجود فتاة أنيقة مثلها فى هذا المكان ، حيث لا يسمح للمرأة سوى بمهنة واحدة .. مهنتين فى الواقع ..

المهنة الأولى هى المغنية :

خرجت تلك المرأة عريضة الكتفين الواثقة من نفسها ومشت إلى حيث عازف البيانو. قدم لها أحد الرجال (شوب) من الجعة ، فشربته مرة واحدة كأنها تشرب عصير قصب من معصرة (التهامى) ، ثم تجشأت وهى تمسح الزبد عن شفتيها ، وبدأت تغنى :

ـ « سوف أحكى لكم عن راعى بقر وحيد ..

« اسمه (بيلى) المجنون ..

« يقطع الوديان والجبال ..

« فلا صديق له سوى حصانه وقطعان (الكويوتى) .. »

المهنة الثانية هى .. . كان (بيتر) ينظر إلى اليسار حيث جلست فتاة تدخن وتشرب شيئًا .. كانت تختلس له النظرات وتغمز بعينها .. لم تدر (عبير) ما يجب عمله. المفترض أن يكون أكثر تهذيبًا وهى معه .. صحيح هى لا تعرف علاقتها به وهل هى حبيبته أم أخته أم أمه ، لكن على الرجل أن يحترم نفسه فى وجود أنثى محترمة مهما كانت ..

قالت فى غل :

ـ « عينك ! »

بدا عليه الارتباك وقال :

ـ « لقد دفعت عشرة آلاف دولار عن كل يوم .. يجب أن أستمتع بوقتى حقًا .. إن (ديلوس) ليست تسلية رخيصة .. أنا لم أدفع كل هذا المال لأبرهن لك على أن خلقى قويم ، ثم لا تنسى إننا مطلقان الآن ! »

هكذا فهمت (عبير) ما هنالك .. غريب أن يقوم رجل باصطحاب طليقته للنزهة ، لكن هذا هو ما حدث كما يبدو .. وجودها هنا غريب جدًا لهذا ترجح أن القصة الأصلية كانت تتكلم عن رجلين .. تم استبدالها بواحد منهما كما يحدث فى فانتازيا كثيرًا ، بما أن معظم عالم المغامرات رجولى .. كل هذه القصص تكتب بهرمون التستوستيرون ، بينما القصص العاطفية ذات الشرائط الحريرية والقلوب الدامعة والخطابات الوردية تكتب بهرمون الاستروجين ..

لكن ما هى (ديلوس) هذه ؟

كانت تفكر فى القصة السابقة واللغز الذى وضعها المرشد فيه .. لقد عرفت رقم الكتيب المطلوب .. كان هذا سهلاً .. الخيارات هى كتيبات فانتازيا نفسها ومعنى هذا أن عليها أن تختار بين 54 كتيبًا .. على الأقل لم تختر من بين 102 عنوان ... يمكنها بكل ثقة أن تؤكد أن القصة التى عاشتها لم تكن (مزرعة الحيوانات) ولا (عالم شجاع جديد) ولا (أحزان الشيطان)..

هذا يجعل الحياة أسهل ..

خرجت من أفكارها على صوت (بيتر) يقول :

ـ « فلنشرب شيئًا .. »

وجذبها من يدها نحو البار ..

ـ « كوبان من عصير الليمون .. »

قالها بصوت عال ولكم تمنت لو خفض صوته .. كانت تعرف ما سيحدث لأنها قرأت مئات قصص الوسترن ورأت مئات من تلك الأفلام .. هذه هى الطريقة المثلى لجلب السخرية ، فهناك دومًا راعى البقر الفظ الواقف جوارك يشرب كوبًا عملاقًا مليئًا بالخمر وسوف يسمع ما تقول..

ـ « هات للصبى بعض الحليب كذلك .. »

نظرت لصاحب الكلام فرأت رجلاً قويًا يبدو من منظره أنه لايجب المزاح معه ، يقف أمام الساقى ويجرع الكوب الكبير الذى عرفت أنها ستراه ..

تحفز (بيتر) فهمست فى أذنه :

ـ « لا تجعله يثير غضبك فهذا هو ما يريده بالضبط .. »

عاد (بيتر) ينظر للساقى ، وهنا عاد الرجل القوى يقول :

ـ « الصبى يريد أن يعود لأمه ! »

هنا يصير من المستحيل أن تتجاهل الاستفزاز أكثر ، فلو فعلت لكان عليك أن تبصبص بذيلك وتتسول لقمة خبز أو عظمة يلقيها لك الطاعمون .. هكذا استدار (بيتر) وفى ارتباك سأل الرجل :

ـ « هل تكلمنى أنا يا سيد ؟ »

قال الرجل فى ثبات :

ـ « نعم .. أنا أسخر منك لو لم تكن فهمت هذا .. »

ونظرت (عبير) إلى حزام رصاص الرجل المتدلى عند أسفل خاصرته ، وإلى وضع المسدسين ، وإلى ثيابه التى تختلف بالتأكيد عن ثياب الباقين .. هذا قاتل محترف من قتلة الغرب .. هؤلاء الذين تكمن براعتهم فى إطلاق الرصاص أسرع منك ..

ونظرت للناس فرأتهم ينهضون كالمجانين خائفين .. هم لايأمنون أن تطير طلقة هنا أو هناك .. وهم يعرفون مبارزات هذا الرجل كما هو واضح .. وسمعتهم يقولون : « الرامى !.. الرامى ! » .. ما شاء الله !.. هذا هو اسمه إذن وهو يدل على ما سيحدث ..

يقف الرجل أمام (بيتر) فاردًا ذراعيه إلى جانبيه وقد فتحهما فى وضع متحفز ممتاز ، وعيناه الحادتان الباردتان مسلطتان على عينى (بيتر) .. ثم بعد لحظة صمت قال له الكلمة الرهيبة :

ـ « اسحب !! »

- 2 -

فى نفس اللحظة أطلق الرجلان الرصاص ..

لكن طلقة (بيتر) كانت الأسرع .. لسبب ما .. وسرعان ما ارتطمت بالرامى فقال شيئًا ما ثم طار إلى الخلف بضعة أمتار ، ليرتطم بمائدة عليها زجاجات تهشمت كلها .. ثم تمدد على الأرض والدم ينز من صدره ..

نظر الجميع فى ذهول إلى (بيتر) الذى كان أكثر الموجودين دهشة .. لم يعرف كم هو بارع من قبل .. أم تراه حظ المبتدئين ..

فى صمت وبأسلوب من اعتاد هذا ، جاء رجلان ليحملا الجثة خارج الصالون ، وسرعان ما بدأ البيانو يعزف وعادت المغنية تغنى .. هذا واحد آخر يعض التراب كما يقولون ..

لقد صار (بيتر) بطلاً ، وجاء رجل يربت على رأسه صائحًا :

- « لم يخسر الرامى أية مبارزة فى حياته .. أنت رام شديد البراعة ! »

وتعالت الصيحات .. وأدركت (عبير) أنها فخور بطليقها هذا !..

تذكرت الرامى الواثق من نفسه ، وكيف وقف متحفزًا ، وكيف أخرج مسدسه ببراعة وخفة .. لهم طريقة معينة مبهرة لانتزاع المسدس من قرابه بحيث يطير فى الهواء ثم يستقر فى وضع الإطلاق .. الآن هو جثة .. جثة ..

طال الاحتفال ، ثم بدأ (بيتر) يتثاءب .. هكذا عرفت أن الأمسية انتهت ..

هذه الصالونات تكون على الأرجح هى الطابق السفلى (اللوبى) لفندق فى مدن رعاة البقر هذه ، وهكذا وجدت (عبير) أنها تساعد (بيتر) الذى صار ثملاً تمامًا على الصعود فى الدرج الخشبى المزدان بمصابيح الكيروسين ، نحو غرف النوم فى الطابق العلوى ..

كانت لهما غرفتان منفصلتان .. بالطبع هما لم يعودا زوجين .. أدخلته غرفته فارتمى على ظهره فى الفراش بحذائه .. نظرت له باسمة .. الآن صار أقرب إلى رعاة البقر فعلاً بثيابه التى صارت رثة وعادة النوم بالحذاء .. صوت تنفسه الثقيل عالى الحمضية منتظم ..

أغلقت الباب ودخلت غرفتها .. راحت تتأمل وجهها فى المرآة فوجدت أنها تبدو كمن خرج من أحد أفلام رعاة البقر القديمة ..

ثوب مزركش وتنورة واسعة وربطة عنق وقبعة وخصلات شعر أشقر على كتفيها ..

هناك حوض غسيل عبارة عن طست صغير به ماء وجواره قطعة صابون .. راحت تغسل وجهها وتتأهب للنوم..

هذا الصوت ..

اتجهت إلى النافذة وأزاحت الستار لترى عجبًا ..

* * *

الظلام يغمر الشارع ما عدا بعض المصابيح هنا وهناك .. مصابيح كيروسين طبعًا ، لكنها ترى بوضوح أن هذا بلدوزر حديث يسلط كشافاته على الشارع .. بلدوزر يتقدم ببطء شديد ، ثم يترجل منه رجال يلبسون زيًا موحدًا أبيض يشبه (الأوفرول) .. زيًا حديثًا جدًا ..

بسرعة وخفة يركضون فى الشارع .. هناك جثتان ملقيتان على جانب الطريق كعادة مدن رعاة البقر الظريفة .. هناك حصان يرقد بلا حراك .. يهرع الرجال فى خفة وبحركات مدربة ليحملوا هذه الجثث ويضعوها فى جرافة البلدوزر ...

ثم إنهم يثبون ليركبوا البلدوزر الذى يدور حول نفسه مرسلاً شعاعه الثاقب فى الشارع المظلم الخالى من الناس ويبتعد ..

ما هذا ؟

ما هذا المكان فعلاً ؟

هرعت تفتح باب غرفتها وتركض حاملة مصباحًا صغيرًا إلى باب (بيتر) فتفتحه .. كان راقدًا على الفراش كما تركته يغط بلا توقف فراحت تهزه ..

ـ « بيتر !.. بيتر !.. شىء غريب يدور هنا ! »

لم يتحرك .. هكذا هرعت إلى طست الغسيل الملىء بالماء فحملته وأفرغته على رأسه ..

ـ « ما الذى .. بحق الشى ..؟ »

نهض وهو يسب ويلعن ، فساعدته على الجلوس ..

ـ « هناك .. هناك بلدوزر .. بلدوزر عصرى يحمل الجثث فى بلدة الغرب القديمة هذه !! »

تحسس رأسه الذى يوشك على أن ينفجر من الصداع وقال فى وهن :

- « الصيانة .. هذا ضرورى ! آى ! »

- « أية صيانة ! »

- « إن هذه الروبوتات حساسة وتتلف سريعًا .. آى !.. لابد من نقلها للصيانة ... آى .. هذا يتم ليلاً ! »

- « أية روبوتات ؟ »

قال وهو يغمض عينيه ألمًا :

- « نحن فى (ديلوس) يا فتاة .. هل نسيت ؟.. كل شىء هنا صناعى ومبرمج من قبل ! »

ثم غاب فى السبات من جديد ..

- 3 -

فى الصباح عرفت (عبير) أنها فى مكان فريد .. هذا هو المكان الواقعى الوحيد الذى يماثل (فانتازيا) تقريبًا ..

عندما تكون ثريًا أكثر من اللازم يخنقك الملل ، وعندها يكون عليك أن تبحث عن تسلية باهظة ، لهذا تم اختراع (ديلوس) ، وهى عبارة عن صورة أحدث وأكمل من (ديزنى لاند) . ما يطلق عليها عالميا اسم Theme park .. إنها مساحة شاسعة شيدت عليها مدن كاملة .. هناك مدينة الغرب حيث يمكنك أن تعيش مغامرة كاملة من أيام الغرب الأمريكى .. هناك عالم الرومان حيث تشارك الأباطرة طعامهم .. هناك عالم القرون الوسطى حيث القلاع والفرسان والأميرات السجينات فى الطابية الحصينة ..

واضح طبعًا أنها و(بيتر) فى الجزء الغربى من هذا العالم. وبنفس منطق فانتازيا لابد من أن يمر العميل بكل شىء .. لابد من مواجهات بالسلاح مع رماة محترفين ، ولابد من عصابة تسرق المصرف ، ومقامرين محترفين ، وهنود حمر ..

سوف تجرب كل شىء خلال إقامتك التى نرجو أن تكون قصيرة لأنك - صدقنى - لن تتحمل التكلفة الباهظة لهذه المتعة مهما بلغ ثراؤك ..

يقوم بأداء أدوار البشر هنا روبوتات متطورة تشبه البشر فى كل شىء وتتصرف مثلهم .. منذ اخترع (كاريل كابيك) لفظة (روبوت) عام 1921 وهذه الأشياء تتطور بلا توقف فى أدب الخيال العلمي. الموجود هنا (أندرويدات Androids) لو شئت الدقة .. إن قارئ الخيال العلمى المخضرم يعرف جيدًا الفارق بين الأندرويد والروبوت والكلون والسايبورج، لكننا لن نتعب نفسنا بهذه التفاصيل .. هذه روبوتات تشبه البشر فى كل شىء وكفى، ما عدا اختلافًا معينًا فى كف اليد ..

معنى هذا باختصار أن كل رواد الحانة والمغنية وعازف البيانو والرامى المحترف أندرويدات تؤدى دورًا برمجت له ..

بالطبع لن يقبل أحد أن يجرب عالمًا يموت فيه فى أول لحظة، لهذا لا تعمل مسدسات الروبوتات المصوبة إليك لأنك دافئ وجسم حى، بينما تكتشف أنت أنك بارع فى الرماية كأحد أبطال الغرب .. قوى جدًا تقهر عشرة رجال ببضع لكمات .. وسيم تتهافت الحسان على الظفر بنظرة منك .. هذا منطقى .. ألم تدفع مالاً من أجل هذا ؟

على أن كل هذا مراقب بعناية عبر كاميرات ترصد كل شىء، وهناك مركز صيانة يجمع الروبوتات التى تلفت والتى قتلتها أنت ببراعتك، لتصلحها ثم تعيد إطلاقها فى الصباح من جديد !

كل شىء مدروس بدقة ..

لكن شيئًا ما خطأ يحدث دائمًا ..

* * *

فى الصباح الباكر بعد تناول الإفطار خرجت مع (بيتر)..

كان فى أسوأ حال شأن من يفيق بعد سكر طويل .. يمشى وهو يترنح ورأسه يدق ..

هناك طلقات رصاص من بعيد .. خيول تركض .. صراخ .. واضح أن هناك من يسطو على المصرف، وهو شىء غير مقلق إذا كنت تتذكر أنك منيع لا تتأثر بهذا الكلام الفارغ ..

راعيا بقر يتشاجران فيلقى أحدهما بالآخر فى حوض شرب الخيول .. هذا تقليدى ..

سيدتان تمران أمام عجوز على مقعد هزاز فيرفع قبعته محييًا وهو يمضغ غليونه .. هذا معتاد ..

مكسيكى ينام جوار جدار وقد غطى وجهه بقبعته العملاقة (السومبريرو) .. هذا تقليدى ..

عربة البريد قادمة والحوذى ثمل تمامًا، وهناك سهام هندية استقرت فى خشب المقصورة .. هذا كذلك معتاد ..

الرامى البارع الذى قتله (بيتر) أمس يقف فى نهاية الطريق وقد باعد بين قدميه بتلك الطريقة المتحفزة ، بينما أنامله البارزة من قفازه غير ذى الأصابع تفتح وتغلق .. وضع استعداد ممتاز يذكرك بثعبان يوشك على الانقضاض .. هذا غير معتاد ومزعج !

ـ « آه لا ! »

نظر (بيتر) إلى الرجل ..

بالله عليك ليس هذا وقته .. هذا الروبوت مُصرّ ويبدو أنهم أصلحوه بسرعة فعلاً .. إن رأسى يوشك على الانفجار ولا وقت عندى لهذا السخف ..

قال الروبوت بصوته العميق القوى :

ـ « اسحب ! »

لقد جاء مصممًا على الانتقام لهزيمة أمس .. تثاءب (بيتر) فى ملل واتجه نحو الرامى ووقف أمامه ينظر فى عينيه .. الموقف الخالد فى أفلام الغرب الأمريكية ، وبعد هذا جعله المخرج (سيرجيو ليونى) كلاسيًا فى أفلام (السباجيتى) الإيطالية .. خاصة لو بدأت موسيقا (إنيو موريكونى) الرائعة تدوى من مكان ما .. لو كنت قد رأيت (الطيب والشرس والقبيح) أو (من أجل مزيد

من الدولارات) فأنت تفهم ما أعنيه .. لا وقت لدى للشرح لأن إطلاق الرصاص سيبدأ حالاً .. فقط النتيجة معروفة : (بيتر) سوف يفوز كالعادة ...

مد (بيتر) الفتى الثرى الرخو يده لمسدسه ، لكن قبل أن يجده أصلاً كان الرامى قد سحب مسدسه بتلك الطريقة الرشيقة و ...

وأفرغ رصاصتين فى صدر (بيتر) !

لابد أن الفتى لم يجد الوقت الكافى ليندهش ..

سقط على الأرض واختلج صدره قليلاً ثم همد ..

ماذا هناك ؟.. ركضت (عبير) إلى (بيتر) ووسدت رأسه على ركبتها .. إنه ينزف فعلاً .. لقد مات فعلاً !.. لكن كيف ؟؟

رفعت رأسها لتجد أن الروبوت يقف نفس الوقفة الثابتة ويبتسم ابتسامة شبه معسولة :

ـ « اسحبى ! »

لم تجد الوقت الكافى لتخبره أن هذا خطأ وأن هذه لعبة والمفترض ألا تصير جدًا .. دعك من أنها غير مسلحة أصلاً .. رفعتْ طرفى ثوبها وانطلقت تجرى وتجرى متوارية وراء بعض الأبنية ..

هناك خطأ .. خطأ مروع حدث فى أجهزة التحكم .. لا شك فى هذا ... لقد جن الروبوت وجن جهاز الاستشعار الخاص به ..

طلقة صفرت بجوارها فأسقطت بعضًا من الملاط ..

هذه طلقات رقمية .. طلقات يوجهها روبوت ، ولابد أن لديه أجهزة استشعار ورؤية ليلية وألف شىء مماثل ، فلعل هذه أول وآخر طلقة تخيب من هذا الرامى ..

لن تكون هناك فرصة أخرى ..

ما هذه القصة ؟.. لا تذكر أنها قرأت مثلها من قبل ؟..

لو تذكرتْ فلربما عرفت الحل ..

* * *

- 4 -

كما فى كل قصص (فانتازيا) وجدت أنها تجيد ركوب الخيل كأنها هندية حمراء ..

هذا الحصان كان يشرب ، وسرعان ما وثبت على ظهره وركلت خاصرتيه بكعبيها فانطلق يركض .. فيوووه !.. الرامى أخطأ الطلقة الثانية وهى تندفع وسط مدينة رعاة البقر هاربة .. طلقة ثانية !.. لعل دقته بدأت تتدهور نوعًا ؟

إنها الصحراء .. بالطبع صحراء أريزونا بلا شك فى ذلك .. حرارة قاتلة وجبال وعرة وثعابين تطلق فحيحها المرعب من تحت حوافر الحصان وتنقض ، ثم تسقط منهكة بفعل القيظ فوق الرمال ، لكنها سعيدة للخروج من هذه المدينة ..

مات (بيتر) وصارت وحيدة .. لكن كيف مات ؟

سمعتْ صوت الحوافر من خلفها فنظرت .. رأت الرامى قادمًا من بعيد .. مهيبًا مرعبًا ثابتًا كالموت ذاته .. صحيح أنه ما زال نقطة فى الأفق لكنها تعرف أنه قادر على تضييق المسافة فى ثوان . هذا الرجل مجموعة من مهارات الغرب الأمريكى معًا .. يجيد الرماية ويجيد ركوب الخيول وغالبًا يجيد لعب الورق كذلك ..

ماذا دهاه ؟.. كان له دور مرسوم واحد هو أن يتحرش بالعملاء فيقتلوه بسهولة ويشعروا بالرضا والفخر ..

هذا الموقف مألوف لديها .. أن يذهب الأثرياء المترفون القساة للاستمتاع بموت العبيد ، وفجأة ينقلب العبيد عليهم ويمزقونهم .. متى ؟

(سبارتكوس) .. هذا يذكرها بقصة (سبارتاكوس) .. دون أن تكون هذه هى القصة المطلوبة طبعًا .. فقط هى ليست من الأثرياء القساة .. هى جاءت لتنعم برؤية روبوت يموت .. فهل هذه قسوة ؟.. هل الحفاظ على مشاعر الروبوت أمر مهم ؟

إذن تمرد الروبوت على السادة وقرر أن يذيقهم الويل وأن يريهم قدراته كقاتل مبرمج .. هى رأت قاتلاً مبرمجًا آخر فى فيلم (المفنى Terminator) وكان مرعبًا بحق .. هو لا يخطئ ولا يرحم ولا يصاب بالإسهال .. إنه طلقة فى لعبة فيديو يجب أن تصيب هدفها ...

لكن عليها الخلاص من هذا الشىء المخيف ..

كيف ؟

* * *

من بعيد ترى سورًا وترى لافتة كتب عليها (عالم الرومان) ..

تترجل عن حصانها وتدخل .. تركض فى بستان جميل امتلأ بالتماثيل الرومانية وبه حمام سباحة ونافورة وأشجار باسقة وأزهار حسنة النماء .. الجو يضوع بالعطر وهناك أكثر من خوان تناثرت عليه عناقيد العنب ودنان النبيذ وثمار التفاح الحمراء .. جو رومانى مترف فعلاً لولا أن هناك خطأ ما ..

حمام السباحة لون مياهه أحمر .. السبب هو عشرات الجثث الملقاة هناك ..

هناك من تم تمزيقه هنا .. من الواضح تمامًا أن هؤلاء الموتى زبائن مثلها تمردت عليهم الروبوتات ومزقتهم بالسيوف ..

راحت تركض .. وفى كل لحظة ترى مشهدًا مهولاً جديدًا .. مشهدًا سيزور كوابيسها للأبد . لابد أن هذا المكان الرهيب يضم عشرين جثة ممزقة ..

لا تعرف كيف غادرت هذا المكان .. هناك بناية حديثة أمامها .. يبدو أن هذه هى الإدارة ..

نعم .. تكوين المكان يشبه حدائق الحيوان حيث تجد الإدارة وسط أقفاص الأسود .. هنا سوف تجد بشرًا وسوف تسألهم عن

هذا الذى حدث .. زوجها السابق لم يدفع عشرة آلاف دولار فى اليوم كى يموت بطلقة رصاص من روبوت مجنون ..

الممرات بالداخل خالية ..

هذا الجو المعقم المظلم المنذر بالويل ..

أبواب على الجانبين تنصحك بعدم الدخول ، لكنها تدخل .. ما تراه مرعب بدوره ..

هناك شاشات تعكس كل شىء فى العالم الخارجى ، لكنها مضاءة بلا مشاهدين .. السبب هو أن كل العاملين موتى .. خلف كل باب هناك علماء وفنيون سقطوا أرضًا وقد اعتصروا أعناقهم طلبًا للهواء ..

هذا ما حدث إذن ..

الفشل لم يحدث فى الروبوتات بل فى النظام كله .. هكذا تم إغلاق الأبواب على العاملين بالداخل ليختنقوا فى الغرف المعزولة كأنهم دجاج مصاب بانفلونزا الطيور ..

إنها عملية إبادة واضحة كاملة قاسية .. هل يمكن اتهام الروبوتات ببرود المشاعر ؟. ومن طلب منها الرقة أصلاً ؟

تسمع صوت الخطوات بالخارج ..

الروبوت الحقود قادم ليفتك بها هى .. لن ينساها ولن يفقدها ..

هرعت تركض بين الممرات عالمة أنها تقريبًا تلعب لعبة (باكمان) الخاص بالكمبيوتر .. ممرات فى ممرات ثم تجد نفسك بين شدقى الأسد الذى كان قادمًا من المنعطف التالى ..

هناك باب كتب عليه **Exit** مخرج ..

هذا قد يكون أملها الوحيد ..

ركضت نحوه واندفعت إلى الهواء الطلق بالخارج لتجد نفسها أمام عالم القرون الوسطى ..

هذا مدخل قلعة كما هو واضح .. جسر معلق وبوابة من التى تنزل بجنازير من أعلى .. قبو رطب يقود إلى درجات .. الدرجات تقود إلى قاعة كبرى يبدو أن المآدب كانت تقام فيها ..

هناك روبوتات على شكل مهرجين وأخرى على شكل كلاب .. هناك راقصات ومغنيات يلبسن الطراطير على رءوسهن ، وهناك مأكولات لا حصر لها على مائدة طويلة .. العصر الذى كان فيه الطعام يتكون من اللحم ثم اللحم مع اللحم ..

هناك ملكة تجلس على عرش ، وجوارها فارس شديد المراس يلبس السواد ، من الطراز الذى يكون اسمه دائمًا (الفارس الأسود) فى تلك القصص ..

لا شك أن هناك قبوًا ، وهذا القبو يضم عدة مساجين ربطوا بالسلاسل .. الصورة هكذا دائمًا ..

المشكلة هى أن كل هذه الروبوتات فقدت الحركة وبالتالى الحياة .. على الأرجح فرغت مصادر الطاقة فيها ، لكن لماذا لم يفرغ مصدر الطاقة لدى ذلك الوغد الذى يطاردها ؟

على الأرض وجدت جثتى رجلين بدينين لا يبدو البتة أنهما ينتميان لهذا العالم حيث القوة هى كل شىء .. هذان رجلا أعمال أمريكيان مترهلان أرادا أن ينعما بجو العصور الوسطى ، فتلقى كل منهما طعنة رمح فى بطنه المكتنز ..

هى ليست مكتنزة ولا مترهلة ، كما أنها تعرف يقينًا أن موتها سيكون بطريقة أكثر رشاقة .. طلقة مسدس فى رأسها عندما يجدها ذلك الأخ الرامى الذى جاء يتبعها كل هذه المسافة ..

ثمة شىء يتحرك ..

إنها النهاية إذن .. لكن .. هذا لا يشبه الرامى ..

لكنه .. المرشد !

كان يقف أمامها ضاحكًا وهو يحمل مشعلاً عملاقًا من المشاعل المعلقة على الجدار .. وقال :

- « ليتك رأيت وجهك !.. أنت الميت الوحيد فى العالم الذى يخفق قلبه ويتنفس ! »

قالت فى غيظ :

- « ليتك تجرب الشىء ذاته .. روبوت مجنون متمرد قرر أن يجعلنى أدفع الثمن .. وهو يتبعنى منذ ساعتين .. دعك من هذه المذبحة غير الضرورية .. كيف أتخلص من هذا الموقف ؟ »

قال فى استمتاع وهو يستند للجدار الرطب المكون من حجارة متراصة مغطاة بالطحالب :

- « لا داعى لهذا .. لقد عشت ما يكفى من القصة وحان وقت الرحيل ، وكذلك حان وقت السؤال المهم .. هل عرفت أين أنت ؟ »

- « لدى فكرة مبهمة .. »

- « جميل .. عليك أن تنفذى التعليمات كما اتفقنا .. »

- « لكنى فعلاً راغبة فى معرفة ما سيحدث .. الاكتمال السردى غريزة بشرية يجب أن تحترمها مهما كنت وغدًا .. »

- « غريزة حيوانية بدائية .. كان هذا رأى (فورستر Forster) الأديب البريطانى الكبير .. حاول أن يقمعها لدى قرائه فلم يستطع .. على كل حال كان عليك أن تقذفيه فى وجه الروبوت

وليس فورستر طبعًا بزجاجة حمض مركزة .. هذا يصيبه بالعمى فيعتمد بالكامل على إحساسه الحرارى .. ثم تتوارين بين المشاعل فيعجز عن العثور عليك لأنه لا يرى سوى النار. عندها تضربينه بقوة بحامل معدنى ليتهشم تمامًا .. »

ـ « لكنى لم أر أية زجاجة حمض .. هذا غش .. »

ـ « كانت هناك زجاجة فى قاعة التحكم لكنك حمقاء ولست عبقرية كبطل القصة .. عندما كتب .... هذه القصة .. »

ثم تدارك نفسه فاهتز من الضحك وأردف :

ـ « كاد لسانى ينزلق !.. ما علينا .. الآن أرجو أن تكونى قد حددت طريقك ... »

ـ « إلى حد ما .. »

وهكذا مشيا بين الجثث المتناثرة والفوضى الضاربة أطنابها قاصدين المخرج .. وسط ضوء المشاعل المتراقص الذى يضفى طابعًا أسطوريًا على كل شىء ، مغادرين العالم الرومانى و(ديلوس) كلها..

لقد تمرد العبيد الآليون على سادتهم .. وكانت النتيجة دموية مفزعة ..

سوف تغلق هذه الحديقة أو هذه الجنة حتى إشعار آخر ، ولسوف يظل تمرد الروبوتات ذات الذكاء الصناعى سؤالاً يؤرق كتاب الخيال العلمى للأبد ..

لكن وقت التساؤل انتهى بالنسبة لها ...

إلى مغامرة أخرى مع أديب آخر ..

* * *

قال لها المرشد ملمحًا :

ـ « المشهد الأيقونى هنا هو مشهد الرامى البارع وهو يشهر مسدسه مهددًا البطل ، وقد تمزق جزء من غطاء وجهه فظهرت الدوائر الإلكترونية . هذا يلخص كل شىء ! »

هل عرفت القصة ؟..

ابحث عن رقمها فى القائمة ..

رقم القصة يشير إلى الصفحة المطلوبة فى كتيب فانتازيا الذى عرفته من القصة الأولى ..

القصة الثالثة

هاربة للمكان الخطأ

- 1 -

(عبير) لم تكن هنا لكنها عرفت أن هذا كله قد حدث وهى فى الطريق ..

كان سيتلقى التوبيخ من أمه .

عرف أن الدرس سيكون قاسيًا هذه المرة .. لهذا ظل يقرأ وتظاهر بأنه لم يسمع صوت الخطوات القادمة من خلفه. يعرف مزاجها السيئ عندما تصحو من النوم.

- « نورمان .. هل تعرف كم الساعة ؟ »

طبعًا معنى السؤال هو اللوم ، لأنها مرت بالردهة ورأت الساعة وتعرف جيدًا .. تظاهر بالغباء ونظر لساعته وقال ببساطة :

- « تجاوزت الخامسة يا أماه ! »

اتجهت للنافذة ترمق المطر وقالت فى ضيق :

- « ألا ترى أن لى عينين أرى بهما ما كنت تفعله وما لم تفعله ؟.. لمَ لمْ تذهب لمكتبك ؟.. لماذا ما زالت اللافتة مظلمة ؟ »

- « المطر غزير .. فلا أتوقع زبائن .. »

ـ « بالعكس يا أحمق .. هذا هو الوقت الذى يبحث فيه المسافرون ليلاً عن مأوى .. »

كانت المرارة تخنق صوته وهو يقول :

ـ « أنت تعرفين أن الطريق الجديد يجذب السيارات فلم يعد يمر بنا أحد. كان بوسعك دومًا أن تبيعى الموتيل وتشترى واحدًا آخر على الطريق الجديد لكنك لم تفعلى .. لم تصغى لى كما هى العادة .. لا تصغين لى أبدًا ! »

ـ « لأننى لا أرى فيك أى نوع من المبادرة .. لا مبادرة كى تخرج وتبحث عن رزقك .. لا مبادرة كى تلتحق بالجيش أو تحب فتاة .. »

كانت لا تثق به .. تعتبره خنزيرًا شهوانيًا لن يترك أية فرصة للرذيلة تمر دون أن يلحق بها ، لذا كانت تراقبه بعناية .. ولهذا هو تجاوز الأربعين ولم يتزوج ولم ينل حب فتاة قط ...

يكره كل شىء من حوله وكل قطعة أثاث ، لكنه كذلك يألفها بشدة ولا يقدر على الاستغناء عنها. أشياء مقيتة كأنها معالم زنزانة السجن ..

لا مفر من هنا ..

عادت أمه تصرخ :

ـ « أنا أعرف أنك أبقيت اللافتة مظلمة لأنك لا تريد أن يأتى نزلاء .. لم تنس لكنك تعمدت هذا ! »

ـ « تعرفين يا أماه أنى فعلاً لا أحب عمل الموتيل .. أفضل القراءة .. »

انفجرت صائحة :

ـ « كنت طيلة حياتك خمولاً تفضل القراءة .. وما هذا الذى تقرؤه ؟.. ليس كتابًا علميًا وليس الإنجيل طبعًا .. أنت تقرأ قاذورات !.. هذا كل شىء .. قاذورات ! »

قال فى كياسة :

ـ « علم النفس ليس قاذورات يا أماه.."

ـ « علم نفس !.. هكذا تسميه أنت !.. بينما أنا لم أصدق القاذورات التى تفوهت بها أمامى ذلك اليوم وقلت إن هذا علم نفس !.. سأقول لك ما يجب أن تعرفه .. ما عرفه رفاقك فى سن الثامنة .. أنت (ابن ماما) .. مهما كبرت ستظل مجرد (ابن ماما) بدينًا ضعيفًا عاجزًا عن عمل أى شىء .. »

لو أنه يقدر على ....

هنا هتفت :

- « تقدر على ماذا يا صبى ؟ »

رباه !.. إنها تقرأ أفكاره كذلك !

عادت تقول :

- « تفكر فى أن الحياة ستكون رائعة لو أننى مت .. هه !. .. لن تستطيع الحياة من دونى .. أبدًا .. أنت مجرد (ابن أمه) وستظل كذلك .. »

لا تحاول أن ترد .. تحمل ..

هى امرأة عجوز وعلى المرء أن يتحمل ما قد يتسرب لعقلها من خلل .. يجب أن تصمت يا نورمان ..

اصبر حتى تعود لغرفتها لتستريح ..

هنا سمع الجرس يدق .. هناك شخص ما قد دخل الموتيل الآن ...

* * *

- 2 -

(عبير) تقود سيارتها ..

الظلام والأمطار الغزيرة ترتطم بالزجاج وتسيل كأنها تقود تحت المحيط .. المساحات لا تجد الوقت الكافى لملاحقة هذا كله ..

شعور غريب .. كأنها فى عالم آخر .. تتقلص أمعاؤها خوفًا ..

من السهل جدًا أن تنزلق العجلات وتلحق بعالم الأشباح فى ثانية واحدة .. من السهل أن تفاجأ بكشافات شاحنة تعميها قادمة فى الطريق المقابل ..

قيادة 18 ساعة ليست بالأمر السهل ، خاصة إذا كانت فى عالم الواقع لا تجيد القيادة !

تعرف جيدًا أنها اختارت الطريق الخطأ .. ما كان يجب أن تدخل هنا .. منحنى خطأ .. Wrong turn . هذا عنوان فيلم رعب شهير .. حقًّا هو مناسب جدًا للموقف ..

حاول أن تشغل رأسها بشىء آخر ..

لقد خمنت كتيب (فانتازيا) المطلوب من قبل وكان صعبًا .. ثم خمنت الصفحة المطلوبة واقتضاها هذا قدرًا لا بأس به من

(الفتاكة) . الآن عليها أن تعرف القصة التى تخوضها .. تعرف أين هى بالضبط .. ليس على خارطة طرق الولايات المتحدة بل فى عالم الأدب كذلك ..

هذا صعب .. تقريبًا تدور أكثر قصص الرعب فى ظروف كهذه .. الفتاة التى تضل طريقها فى العاصفة .. لابد أن هناك ألف قصة من هذا الطراز .. فى أفلام الطريق Road movies تتعطل السيارة أو تتسبب فى مخالفة فى البلدة الخطأ .. هكذا يكون عليك أن تواجه أهل البلدة الذين قد يكونون من أكلة لحوم البشر أو الذين يحنطونهم أو يصنعون منهم تماثيل من شمع ..

أنا لصة ..

(عبير) تعرف أنها سرقت المال أمس ...

ستة وثلاثون ألف دولار وخمسمائة .. إنها قريبة جدًا من مبلغ أربعين ألف دولار ، ومن الواضح من الثياب وطراز السيارة أن القصة ليست معاصرة .. لابد أن هذا المبلغ فى ذلك الزمن كان يكفى لشراء ولاية كاملة ..

مكتب مستر (لاورى) .. الصراف العجوز (تومى) ..

بيدين مرتجفتين يلف مستر لاورى المال فى مظروف حكومى كبير .. يطلب منها أن تأخذ هذا المال للمصرف :

ـ « إنها الرابعة لكن (جيلبرت) سيسمح لك بالإيداع .. يمكنك أخذ باقى اليوم إجازة" .

تهز رأسها محاولة ألا ترتجف ..

ـ « أراك يوم الاثنين إذن يا (مارى) .. »

كان كثير الكلام عن الاكتفاء وعن الزهد ، لكنها تعرف أنه مستعد لقتل أى واحد من العاملين معه من أجل خمسين سنتًا ..

هكذا خرجت من الباب حاملة المال ..

خرجت من الباب وكانت تعرف كذلك أنها خارجة من حياته ، وأنها لن ترى هذا المكان ثانية ..

ها هى ذى الفرصة !

الفرصة التى عرفتها عندما رأتها .. الفرصة التى انتظرتها 27 سنة ..

(عبير) ليست لصة ولا تبالى بالمال على الإطلاق ، لكنها فى هذه المرة تلعب بقواعد (فانتازيا) .. (مارى) بطلة القصة لصة وعليها أن تكون مثلها ..

كانت هناك قصة حب وقد انتهت ، عندما قابل حبيبها حبيبة أخرى مناسبة فى هاواى .. الأم مريضة وماتت منذ عامين .. لا أمل فى الدراسة الجامعية وهذا هو المكان الوحيد المتاح لفتاة فى ظروفها ..

لا وقت لديها لتندم على ما فات من وقت !

وفاة الأم .. بيع البيت .. أختها تضطر لترك الدراسة .. الفتاتان تقيمان فى شقة صغيرة وحدهما .. وجهها يمتلئ بالإرهاق ويوشك على أن يمتلئ بالتجاعيد برغم صغر سنها .. إن للهموم تأثيرًا سحريًا على ملامح الأنثى .. بينما الهموم تزيد وسامة الرجل وتجعل وجهه محنكًا جذابًا ..

هنا يظهر (سام) .. يظهر سام حاملاً الوعد بالحب وبانتهاء هذا الشقاء ..

لكن (سام) غارق فى المشاكل المادية .. ورث متجر أبيه ومعه ورث عشرين ألف دولار مدينة .. إن أمامه ثلاث سنوات قبل أن تستقر أموره .. لا يوجد حل آخر ولا يمكنه توفير مسكن ..

المستقبل !

ثلاث سنوات قبل أن يبدأ المستقبل !

هذا دهر حقيقى .. والشعور بمرور السنين يخنقها .. سوف تتجاوز الثلاثين سريعًا ثم تتجاوز الأربعين .. ثم ..

ـ « يمكننا أن نتزوج ونتحمل .. نسكن فى المتجر الذى تعمل فيه ونأكل الحبوب .. سوف تمر هذه الأعوام . »

قال فى إصرار :

ـ « فكرتى عن الزواج تختلف .. مسكن محترم .. دخل ثابت .. طعام جيد ... آسف لكن لابد أن ننتظر .. »

لن يكون هناك واحد آخر مثله فى حياتها ..

كان (لاورى) الذى تعمل عنده ثريًا .. يكسب المال ببضع مكالمات هاتفية ، ولم يكن يقدم أية خدمة للمجتمع تستحق هذا كله. يتعاقد مع أطراف ويخدع أطرافًا .. بالتأكيد كان يقدر على سداد مبلغ العشرين ألفًا فى أسبوع ..

كانت تكرهه لأنه ثرى .. تكره كل العاملين هنا لأنهم أثرياء مترفون .. أحدهم وضع على مكتبها مائة دولار ذات مرة وعرض عليها أن تخرج معه .. لم تجد الوقت الكافى لتغضب لأن مستر (لاورى) ظهر ورحب بالعميل ..

هذا العميل رجل يعرف كيف يستأجر كل شيء .. هو أراد استئجارها بمائة دولار ..

لقد سرقت (لاورى) الآن ..

سرقته بأعصاب باردة شاعرة بأنها تنتزع حقها من المجتمع ..

انتقام تأخر بعض الوقت لكنه جاء فى وقته .. باردًا ثابتًا .. قاسيًا ..

* * *

- 3 -

سوف يكتشفون أمر السرقة صباح الاثنين .. سوف يجرى لاورى مكالمة ويعرف أنها لم تسلم المال ..

سوف تعود أختها وتكتشف أنها هربت ، لكن لا يوجد حل .. للأسف لا يوجد ما تعمله بهذا الصدد .. سيكون على أختها ان تواجه الحياة وحدها وتتحمل ..

لقد انطلقت بسيارتها للشقة لتحزم حقائبها ، ثم انطلقت إلى الطريق السريع .. بدلت سيارتها مرتين طلبًا للتضليل .. فى كل مرة خسرت الكثير من المال ..

لا يهم .. عندما يبحث رجال الشرطة عنها سيكون اسمها السيدة (سام لوميس) ، وتعيش فى بلدة نائية بلا سيارة . سوف يصدق سام ما تحكيه عن قريب ثرى لها ترك ثروة .. سوف تقول إن أختها رحلت لأوروبا لهذا لن ندعوها إلى الزفاف ..

ثمانى عشرة ساعة من القيادة !.. هى لا تشعر برأسها وتشعر أن عينيها ملتهبتان .. كل هذه الأضواء فى عينها ، والظلام والتركيز ..

لكنها ضلت طريقها وهى الآن فى درب مهجور لا تعرفه .. وكل هذه الأمطار ...

(عبير) لا تشعر بألم أو قلق أو تأنيب ضمير ، لكنها ترمق وجهها فى المرآة فتجده متوترًا منهكًا يشى بالصراع النفسى .. كأن وجهها ذو ضمير مستقل خاص به .. لا يمكن أن تقابلى سام هكذا .. لن يصدق قصة الميراث ..

عليها أن تمضى الليلة فى مكان ما .. عليها أن تستريح ..

كانت تجاهد كى تبقى عينيها مفتوحتين ، عندما رأت اللافتة المضاءة ..

(موتيل) ..

أبطأت سرعة السيارة ودارت لتدخل الممشى ..

ما كل هذا الظلام ؟.. هل المكان مغلق ؟.. هناك ضوء فى البيت خلف الموتيل. هناك شخص ما بالداخل. المطر ينهمر بغزارة فوق السيارة ..

وحدها فى الظلام ..

هل تعود ؟. ..

كانت تفكر فى هذا عندما دنا ذلك الشخص من السيارة وفتح الباب ..

* * *

كان بدينا وديع المنظر يضع العوينات ويسألها :

ـ « هل تريدين غرفة ؟ »

أزال مظهره الوديع توترها ، من ثم ترجلت من السيارة .. لشد ما تخشبت قدماها !.. مشت وراءه إلى مكتب الاستقبال المضاء الدافئ واستندت على الكاونتر فيما قال :

ـ « الغرفة سبعة دولارات فى الليلة .. هل ترينها قبل استئجارها ؟ »

ـ « لا داعى .. »

قالتها وأخرجت المبلغ من حقيبتها .. وضع أمامها الدفتر لتكتب اسمها .. ترددت لحظة ثم اختارت اسم (جين ولسون). واختارت عنوانًا يتفق مع لوحات سيارتها. ستترك المال فى السيارة فى (التابلوه) .. لن يفتحها أحد هذه الليلة .. هذا أفضل ما تستطيع عمله .

كانت الغرفة بسيطة لكنها مريحة .. نقل حقائبها للداخل ..

كان هناك حمام من الطراز الذى تقف فيه تحت الدوش .. كانت تفضل المغطس طبعًا ، لكن لا بأس بهذا ..

ـ « هل من مكان آكل فيه لقمة ؟ »

بالفعل كانت أمعاؤها تتقلص موشكة على أن تحدث ذلك الصوت الفاضح المميز .. كانت تهضم لحمها بالمعنى الحرفى للكلمة ..

ـ « أقرب مكان على بعد 17 ميلاً .. (فيرفيل) .. لا أعرف لماذا لم تتجهى هناك أصلاً .. »

ـ « ضللت طريقى .. »

وقف على الباب يفكر فى ارتباك ثم قال :

ـ « أعرف أنك لا تحبين العودة للقيادة تحت المطر لمجرد أكل وجبة .. ربما أمكن أن .. أقصد .. أعد لك وجبة سريعة .. هذا يسرنى .. »

ـ « لا داعى لذلك .. »

ـ « بالعكس .. ماما قد نامت منذ فترة ، ومن السهل أن أعد بعض القهوة وشرائح اللحم .. هذا لن يتعبنى صدقينى ..»

وغادر المكان فى ارتباك .. لشد ما هو محرج مع النساء !

أغلقت الباب على نفسها وبدلت بثيابها أخرى جافة فشعرت براحة ، برغم أن فوبيا الأماكن الغريبة كانت تسيطر عليها ، لكنها كذلك تشعر بنوع مثير من لذة المغامرة .. وحدها فى طريق ناء فى فندق بعيد يبعد عن واقعها مئات الأميال ..

مشت عبر الممر نحو البيت الكبير الذى رأت الضوء فيه ، ودقت الباب .. لابد أنه فى الطابق العلوى . اختلست النظر عبر النافذة لتلقى نظرة على الداخل ..

هذا لا يصدق !.. هذا البيت يبدو كأنه لم يمس منذ قرون .. كل شىء عتيق قديم لم ير التجديد .. البساط الأحمر .. الخشب الماهوجنى .. لا يمكن أن يوجد هنا مذياع أو تلفزيون .. مستحيل ..

دقت الباب عدة مرات .. مستحيل ألا يسمعها ..

أخيرًا ظهر (نورمان) قادمًا من الطابق العلوى وقد بدا عليه الخجل ..

ـ « معذرة .. كنت أتكلم مع أمى ، وهى قادرة على أن تكون صعبة التعامل فعلاً . »

ـ « أعتقد من كلامك أنها مريضة و... »

نظر خلفه ثم قال همسًا :

ـ « الحق أنها مريضة فعلاً .. لكن ليس جسديًا .. أرجو أن تكونى قد فهمت .. »

فهمت الكثير ، لكنها كذلك لم تفهم أى شىء على الإطلاق ..

- 4 -

اقتادها إلى المطبخ وهو يكرر الاعتذار .. وهناك كانت صحفة عليها بعض السجق والمخللات والجبن .. ثمة جو حميم فى هذا كله جعلها تبتسم دعك من أنها كانت فعلاً تموت جوعًا ، وقد بدت لها هذه مأدبة كاملة ..

بالفعل التهمت طعامها كالذئاب ، فلم تفطن إلا متأخرًا أنه لم يأكل إلا أقل القليل .. سألته عن ذلك فقال :

ـ « الحق إننى لست جائعًا .. مشاكل مع أمى .. يبدو لى أننى السبب فأنا لا أعنى بها جيدًا .. »

ـ « هل أنت متزوج ؟ »

احمر وجهه وقال :

ـ « فى الواقع لا .. أمى صارمة جدًا فى هذه الأمور .. فى الواقع أنا لم أجلس قط فى حياتى قريبًا من فتاة لهذه الدرجة .. معذرة .. كنت أريد أن أقدم لك شرابًا لكن أمى لا تسمح بالخمر فى هذا البيت ..»

طبعًا كان هذا يناسبها كـ (عبير) جدًا .. لكن (مارى) كانت ترغب فى كأس بالتأكيد .. وشعرت بالثقة تغمرها .. رؤية (نورمان) الواهن الخائف ملأتها ثقة وقوة ..

ـ « إذن أنت لا تتزوج ولا ترى فتيات .. ماذا تعمله هنا بالضبط ؟ »

ـ « أنا أقرأ كثيرًا .. كما إننى أحب تحنيط الحيوانات .. هل ترين هذا السنجاب على الحائط ؟.. أنا من قام بتحنيط جثته ... »

لم تحب التدخل فى شأن لا يخصها ، لكنها شعرت بشفقة عارمة عليه .. كأنه طفل يغرق لابد من انتشاله ، لذا قالت له :

ـ « ألا ترى أن حياتك تضيع بهذا الشكل ؟.. هناك واجبات نحو أمك ، لكن ماذا عن واجباتك نحو نفسك ؟.. ومتى تبدأ حياتك ؟ »

قال فى عصبية وقد بدأ وجهه يتنمر :

ـ « أنت لا تعرفين ما فعلته من أجلى .. كيف عانت وتعذبت .. يجب أن أتحمل غرابة أطوارها .. لابد أننا جميعًا نجن فى لحظات معينة .. »

وتوقف هنا ليس لأن كلامه انتهى بل لأن أنفاسه انتهت .. وجهه أحمر كالدم وشفتاه ترتجفان ..

قالت (عبير) :

ـ « أنا آسفة .. لم يكن من حقى أن أقول ما قلت .. »

ونهضت متعللة بأن الوقت تأخر .. طلب منها أن تبقى قليلاً فرفضت .. أوصلها لغرفتها فى الموتيل وتمنى لها ليلة طيبة .. لاحظت فى دهشة أنه يخشى أن يلمسها بأى شكل .. رفعت رأسها للبيت فرأت النافذة ما زالت مضاءة .. العجوز ما زالت متيقظة فهل سمعت هذه المحادثة ؟

أغلقت بابها .. وتذكرت تلك المحادثة وكيف تغير (نورمان) فجأة .. « لابد أننا جميعًا نجن فى لحظات معينة .. »

نعم .. كلنا نجن فى لحظات معينة .. هى نفسها جنت عندما قامت بما قامت به .. كيف تصورت أنها ستهرب وستنجو بفعلتها ؟.. ساذجة !..

لا يمكن أن تخدع سام وأختها للأبد حتى لو خدعت الشرطة .. مخطط واهٍ جدًا ..

هل يمكن تصحيح كل شىء ؟.. ماذا عن عشر ساعات من النوم ثم العودة بالمال؟.. إنه الأحد .. لو انطلقت ستصل فى صباح الاثنين لتودع المال .. قبل وصول المدير .. قبل عودة أختها ..

نعم .. سوف تفعل ذلك .. لقد خسرت الكثير باستبدال السيارة ، لكن هذا ثمن بخس مقابل أن تحتفظ بالاطمئنان للغد ..

الآن سوف تظفر بحمام دافئ ثم تنام وفى الصباح يتبدل كل شىء ..

فتحت الدوش إلى أقصى مدى له ، ثم فتحت المياه الساخنة .. خطت لتقف فى الحمام وأسدلت الستائر ..

الماء .. الماء ... يزيل كل قذارة وغبار اليوم ..

الماء .. الماء ..

الصخب ... لا تسمع أى شىء على الإطلاق ..

البخار .. البخار يتعالى .. لم تعد ترى صورتها فى المرآة ..

لم تعرف أن الستائر انزاحت وأن هناك من ينظر لها ..

فجأة استدارت لتجد وجهًا مريعًا يرمقها .. وجه امرأة عجوز مجنونة تمامًا .. أم (نورمان) !

وجه كسته طبقة كثيفة من المساحيق ورسمت دوائر حمراء حيث الخدين .. وفوق الرأس أقذر شعر مشعث رأته فى حياتها ..

اليد تحمل شاطورًا !!.. والشاطور يتجه نحوها ..

العجوز كان معها المفتاح .. لا شك فى هذا ..

فكرت فى هذا وهى تصرخ بينما الشاطور يهوى فوق عنقها ..

* * *

لم يواصل الشاطور رحلته نحو عنقها لأن يدًا قوية أمسكت بساعد العجوز ..

ثم ظهر وجه المرشد يطل من فرجة الستار ، ويقول وهو يجاهد للسيطرة على المرأة المتوحشة :

ـ « لا تخافى !.. أنا هنا .. جئت لأنقذك ! »

صاحت فى رعب وهى لا تعرف أين تتوارى :

ـ « ابتعد أيها الوغد !. .. لا تنظر ! »

أسوأ موقف نواجهه هو العرى .. هذا يجعلنا هشين بدرجة لا توصف .. إن ارتداء منامة مثلاً لن يحميك من القتل ، فالمنامة ليست درعًا ، لكنه يعطيك شعورًا بالقوة لا شك فيه ..

قال المرشد فى برود ودون أن يبدى أية بادرة تدل على أنه ينوى الابتعاد :

ـ « لا تنسى أننى لست رجلاً حقيقيًا .. أنا من بنات أفكارك ، أو لو شئنا الدقة من أولاد أفكارك! »

ـ « لكن وجودك هنا يربكنى .. فى النهاية أنت تبدو كرجل . »

ـ « لن يربكك شكلى أكثر مما تربكك يد تحاول فصل عنقك عن جسدك .. »

ـ « على الأقل هى يد امرأة ! »

ابتعد عن فرجة الستار وسمعت صوته يقول :

ـ « سوف أنتظرك بالخارج ، لكن من الواضح أنك لا تذكرين القصة ما دمت تعتقدين أن مهاجمك امرأة ! »

ارتدت ثيابها بسرعة وهى ترتجف ثم لحقت به حيث كان راكعًا على البساط على الأرض كأنه مصارع .. تحته كانت تلك المرأة العجوز يلوى ذراعها خلف جسدها ليمنعها من الحركة ..

قال لها وهو يجذب شعر المرأة فى قسوة :

ـ « ها هى ذى المرأة التى هاجمتك ! »

شهقت (عبير) وهى ترى وجه (نورمان) .. (نورمان) البدين الخجول نفسه !.. نورمان الذى لطخ وجهه بالأصباغ ليبدو كساحرة عجوز .. كان مزيجًا غريبًا من التوحش والبكاء كطفل ..

ـ « أنت ؟.. ما معنى هذا ؟.. أين أمه ؟ »

ـ « أمه لا وجود لها .. لقد ماتت منذ أعوام طويلة ، لكنه يحنط جثتها فى غرفة نومها ، ويكلمها ويحاول إطعامها .. ويعتقد أنها تعطيه أوامر طيلة الوقت !. .. أمه التى قررت أن تقتلك لأنك جميلة جدًا ، ولأنها تخشى أن يتخلى عنها ابنها من أجلك !.. وأنت اخترت ألعن مكان ممكن لتقضى فيه ليلتك ! »

ـ « لكن هذا جنون .. »

ـ « ومن قال العكس ؟.. هذه القصة حقيقية تقريبًا وقعت مع سفاح أمريكى شهير اسمه (إد جين) .. لم يدفن أمه بعد موتها ، لأنه لم يتحمل فكرة الحياة من دون سلطة الأم ، بل ظل يعيش مع جثتها المتعفنة ويتلقى منها الأوامر .. ثم بدأ يقتل النساء ليفصل من جلودهن عباءة يتنكر فيها ليبدو مثل أمه !.. هكذا يشعر أن أمه ما زالت حية .. »

صاح (نورمان) وهو يحاول المقاومة :

ـ « أمى سوف تقتلكما !.. سوف تقتلنى معكما ! »

قال المرشد فى ضيق وملل :

ـ « مستمر فى أداء دورك ؟.. القصة انتهت ياصديقى ، وعلى (عبير) أن تخمن اسم القصة .. هل فعلت ذلك ؟ »

قالت (عبير) وهى تمشط خصلات شعرها المبتل المجعد :

ـ « أعتقد أننى عرفت ... أرجو ألا أكون مخطئة .. »

وخطر لها أنها ستخرج الآن للخارج حيث المطر والبرد .. تبًا !.. سوف تصاب بالزكام حتمًا .. لا مفر من هذا ..

* * *

قال لها المرشد :

ـ « المشهد الأيقونى هنا واضح ويذكره الجميع .. فتاة هشة معدومة الحيلة فى الحمام ، بينما عجوز مخيفة تحمل سكينًا عملاقًا تنقض عليها لتمزقها .. الدم يسيل ليملأ البالوعة .. هلم !.. يمكنك أن تعرفى القصة على الفور ! »

هل عرفت القصة ؟

ابحث عن رقمها فى القائمة المنشورة ..

لديك كتيب من فانتازيا .. لديك صفحة من هذا الكتيب ..

الآن عرفت رقم السطر المطلوب !

القصة الرابعة

نملتان فى كوب ماء

- 1 -

كانت تعطش بلا توقف ..

هذه القواعد قاسية فعلاً .. طيلة مغامراتها هى مبتلة ، لكن لم يكن سبب العطش ما هطل فوقها من مطر فى الطريق لموتيل (نورمان) ، ولكنه الغرق فعلاً !

كانت تعطش بلا توقف .. والسبب أنها تخرج من البحر على شاطئ جزيرة استوائية ..

لقد غرقت السفينة فى منتصف الليل ، وكان عليها أن تتمسك بقطعة خشب هى وذلك الشاب النحيل ..

الآن هو ذا الشاطئ .. تغرس أصابعها فى الرمال وتغيب عن الوعى .. لا .. ليس هذا نومًا بل هو فقدان وعى ..

الشمس تغمر كل شىء ، بينما موج البحر يردد معزوفته الأبدية .. كل موجة تحاول اللحاق بالأخرى فى مجهود عبثى أبدى ..

كان ذلك الأخ الذى نجت معه نائمًا كالقتيل على ظهره ، فلولا حركة صدره لحسبته قد مات .. قامت بجولة سريعة عرفت بها كل شيء. أحيانًا تتصرف النساء بجرأة وإقدام أكثر من الرجال

بكثير .. ربما كانت شجاعة وربما كانت قلة تقدير للعواقب ، لكن المؤكد أن أى رجل ما كان ليقدم على استكشاف الجزيرة وحيدًا وبهذه الجرأة ..

اتجهت إلى جذع شجرة عتيق غليظ وتوارت خلفه .. معها كيس بلاستيكى كبير فيه ثياب ومشط ومرآة .. هذا غريب بالنسبة لأنثى تغرق .. أنثى جدًّا هى إذن ..

بدأت تبدل ثيابها ثم علقت المرآة وراحت تمشط شعرها ..

لقد صار هذا مملاً .. إنها شقراء فاتنة كالعادة !.. يجب أن تنتظر طويلاً كى تعيش مغامرة واحدة فى فانتازيا بشعر أسود أو ملامح عادية. لكن من الواضح أنها مصرية .. هذه ملامح مصرية لا شك فى هذا .. تعرف كذلك أنها ممثلة سينما فاتنة وأنها كانت على ظهر السفينة الغارقة ..

ما هذه القصة ؟.. ليست متأكدة لكنها بالتأكيد لا تتكلم عن (تايتانك) هنا .. هناك قصص كثيرة جدًّا حول رجل وامرأة على جزيرة ، بل إن هذه من مواضيع النكت الشهيرة ، وهناك رسام كاريكاتور عالمى تخصص فقط فى رسم هذه الحبكة مع التنويع عليها ..

على كل حال ـ حسب قواعد علم الاجتماع ـ هى ستقع فى حب هذا الرجل .. هذا محتوم. لا يوجد آخرون على كل حال ..

ـ « هل تعرفين بم يذكرنى منظرنا ؟ »

ـ « بم ؟ »

ـ « بنملتين تغرقان فى كوب ماء .. »

ـ « أنكتة هى ؟ »

ـ « بل هى فلسفة .. »

هكذا قال لها أمس وهما يتمسكان بقطعة الخشب فى وسط المحيط المظلم .. اسمه (أحمد عبد الغفار) .. مهندس سفن .. لا .. ليس المهندس الذى صمم هذه السفينة الغارقة ، ولو فعل لكان موضوعًا ممتازًا للسخرية ..

ظهر من مكان ما وقد بدت عليه مخايل البلاهة .. هو لم يستوعب بعد إحداثيات الحقيقة .. أين هو ؟.. ماذا يدور هنا ؟.. ما هذه الجزيرة ؟. تروق لها تلك المواقف التى يبدو فيها الرجل هشًا غبيًا يحتاج للعون ، وتبدو الأنثى متماسكة فاهمة لكل شىء وتمارس دور الأم بلا تردد .. من الغريب أنها جربت الشعور ذاته فى ثلاث قصص هنا .. لكن حذار !.. فى القصة الأولى

أهينت وطردت أمام جمهور كازينو مونت كارلو كله ، وفى القصة الثانية اتضح أن الرجل الخجول المرتبك سفاح مجنون بفضل رءوس ضحاياه .. ترى عم يسفر هذا الارتباك لدى الأخ (أحمد) ؟

طلبت منه أن يرفع لها المرآة لتواصل تمشيط شعرها ، وقالت له :

ـ « هذه جزيرة صغيرة .. لا أعتقد أن مساحتها تتجاوز فدانًا .. »

هناك هياكل عظمية هنا .. من الصعب فهم سبب موت هؤلاء .. لم يموتوا جوعًا على كل حال لأن هناك شجرة تفاح وهناك ماء جار ..

سألها فى دهشة :

ـ « تفاح فى الصيف ؟ »

هذه هى مشكلة الرجال .. كل شىء مريب ويدعو للشك .. لم لا يوجد تفاح صيفى ؟

هناك عشة عتيقة ، وهناك فراش خشبى واطئ بها وجوارها بئر بها مياه عذبة .. كانت تشرح له هذا كله عندما أطلق صرخة رعب ..

ـ « ماذا بك ؟ »

ـ « ساعتى تجرى بسرعة جنونية !.. يوشك عقرب الساعة أن يبدو كغشاء شفاف فوق الميناء .. »

الأمر كذلك لا يتعلق بالساعات فقط، بل يتعلق باللحى .. لحيته نمت بسرعة جهنمية كأنه لم يحلقها منذ أسبوع .. يتعلق بالأظفار التى تستطيل بسرعة غير عادية .. يتعلق بالتفاح لأن الشجرة تمتلئ بالتفاح الأحمر بمجرد أن يقطفا منها ..

لم يبد لها الأمر ذا أهمية وقذفت له بتفاحة واقتطفت واحدة أخرى .. لو كان مسمومًا أو غير صالح للأكل فهو ألذ تفاح مسموم ذاقته فى حياتها ..

هنا سمعا صوتًا ..

التفتا فرأيا رأسًا بشريًا يطل من وراء الكوخ ...

* * *

ـ 2 ـ

الرجل الذى برز لهما لم يكن ملاكمًا أو بطل كمال أجسام، برغم أن عضلاته توحى بذلك .. كان شابًا وسيمًا برونزى اللون عرفاه على السفينة قبل غرقها .. ومن الغريب أنه لا يلبس سوى مايوه السباحة كأنه كان يجمع بين الغرق ورياضة الغوص معًا ..

كانت (عبير) تعرفه جيدًا .. لقد كان صديقًا لها وهو لا يتكلم العربية ولا الإنجليزية ولا الفرنسية ولا أية لغة تعرفها .. فقط يردد كلمة واحدة طيلة الوقت :

ـ « تزا تزا ! »

كانت تطلق عليه (توتو) .. ليس لأن هذا اسمه لكن لأن المرء يجب أن يطلق أسماء على الأشياء .. لا يمكنك أبدًا أن تعرف جنسيته فهو يمكن أن يكون أى شىء ..

هذا هو الرجل الذى يتمنى المرء أن يقابله على جزيرة مهجورة، لأنه يعرف كل شىء ضرورى للحياة .. تتمنى أن تقابله وأن يكون فى صفك طبعًا !!

(توتو) القوى الذى يحمل خنجرًا ممتازًا يصلح لصيد السمك وقطع النباتات والقتل .. هذا جعل أحمد ينكمش ، وأدركت دون جهد أنه يغار بجنون .. لم تولد قصة حب بينهما ، لكنه اعتبرها ملكه .. وها هو ذا الوغد الرشيق يخرج من الماء ليقضى على هذا الوهم ..

(توتو) يجيد عمل أشياء مما يجيدها أبطال الأفلام .. فهو ينزل للبحر ويصطاد السمك بالخنجر - لا تدرى كيف - ثم يشعل النار بحك الخنجر بالخشب كأنه لم ير مشاكل (توم هانكس) مع النار فى فيلم (المنبوذ) . فى السينما كل شىء يتم بسهولة ، وقد كان الأخ (توتو) ينتمى لعالم السينما فعلاً .

لكن (عبير) كانت تعرف أنها تميل أكثر إلى (أحمد) .. على الأقل من الممكن التفاهم معه .. هو ضعيف هش تعس لكنه حساس طيب القلب.

هكذا قام توتو بصيد ثلاث سمكات ، ثم قام بشيها على النار .. فى البدء رفض أحمد أن يأكل .. تماسك لفترة .. ثم انتهى العمر الافتراضى لكرامته بعد ثلاث دقائق وجرى ليفتك بالسمكة ..

غربت الشمس ..

ساد الجزيرة هدوء لا يفهمه سوى سكان الجزر ..

ومن مكان ما تعالى صوت توتو يغنى بالتينور أغنية لا يمكنك فهم حرف من كلماتها لكنها رائعة ... وجلست عبير جوار أحمد يراقبان البحر الذى بللت دماء الشمس أمواجه ...

نعم .. الحياة تزداد روعة ..

تذكرت (عبير) النكتة القديمة عن مصير رجلين وامرأة يجدون أنفسهم على جزيرة .. لو كانوا أسبانًا سيقتل أحد الرجلين الآخر .. لو كانوا سوفييت سينتظرون التعليمات من موسكو .. لو كانوا بريطانيين فلن يحدث شىء لأن أحدًا لم يقم بإجراء التعارف .. لو كانوا عربًا ستقتل المرأة الرجلين !.. لو كانوا أمريكيين سيقوم الرجلان بتكوين شركة وينسيان كل شىء عن المرأة..لو كانوا يونانيين : سيفتتحون مطعمًا . لو كانوا دانمركيين : سينتحر الجميع !

كل هذه السيناريوهات لن تتحقق هنا .. يبدو أنهم أسرة صغيرة سعيدة .. لا خلافات من أى نوع ..

حتى لحظة ظهور ذلك الشىء فى البحر !

* * *

الشىء القادم لم يكن شيئًا ..

عندما اقترب أكثر أدركت أنها ترى رجلاً واقفًا فوق الماء .. مستحيل !.. هذه معجزة !

لكن لما اقترب أكثر عرفت أنه رجل يقف فوق قطعة خشب طافية وهناك رجل آخر فى الماء يدفع الطوف دفعًا من الخلف ..

غريق آخر !.. هذه الجزيرة أكثر الجزر المهجورة المقفرة ازدحامًا ..

الرجل الواقف كان مهيبًا وقورًا يلبس جلبابًا أبيض نظيفًا ، أما الذى كان يدفع الطوف فرجل غليظ ضخم عليه غابة من شعر كثيف .. يلبس جلبابًا رخيصًا مخططًا تطل منه رقبة ثور .. ملامحه تنطق بالغباء والجلافة ..

ترجل الرجل ثم وقف يرمق الموجودين فى دهشة .. عرفهم بنفسه :

ـ « أنا الحاج (طلبة) من ذوى الأملاك .. وهذا (كرشة) مساعدى .. »

هو مساعده وخادمه وحارسه وكلبه الأليف كما هو واضح ..

ـ « ومن السيدة ؟ »

قال أحمد على الفور :

ـ « زوجتى ! »

كادت تصفعه من أجل هذه الكذبة .. لكنها قدرت أن الحاج ليس ممن يقبلون المزاح أو اللعب به .. لو سمع بهذا لقتل (أحمد) بلا مناقشة ..

راح الحاج (طلبة) يتفقد ممتلكاته .. السبحة ودفتر الشيكات ثم المسدس !..المسدس الذى لم يتلف من الماء .!

بهذا صار واضحًا أن الحاج (طلبة) نصب نفسه زعيمًا للمجموعة !.. وقد اتجه بثقة إلى شجرة التفاح ليلتهم بعضه ثم يكرع الماء بلا توقف .. بينما راح (كرشة) يلتهم التفاح بلا توقف كالثيران فعلاً ..

عندما ابتعد الرجلان انفجرت (عبير) غضبًا فى (أحمد) :

ـ « هل تمزح ؟.. لماذا قلت إننى زوجتك ؟ »

ـ « وسط زحام الرجال هذا لابد من رجل يحميك .. »

ـ « وهل أنت قادر على حمايتى ؟.. على الأقل توتو يقدر .. »

ـ « هو يقدر .. لكن لا لسان له .. »

لكن الأمور تسوء ..

فعلاً هو غير قادر على مواجهة تحرش ذلك الثور الوغد (كرشة) .. بكتشف أن الثقافة والذوق لا يجديان .. لا يتركه (كرشة) فى حاله إلا عندما يظهر (توتو) ليستعرض عضلاته واعدًا بمشاجرة حامية معه إذا تمادى ..

عندها أدرك (أحمد) أن الغلبة للقوة الغاشمة فى هذا العالم .. ينسحب شاعرًا بالمهانة ليجلس وسط الهياكل العظمية ...

* * *

- 3 -

الحاج جائع .. إنه يرغب فى أن يأكل شيئًا غير التفاح الذى لم يعد يطيقه . لقد رأى شوك السمك وهو يريد معرفة من أين جاء ..

قال لـه أحمد إن توتو اصطاده بالخنجر .. نظر لكرشة فى دهشة وقال :

- « لم لا تجرب ذلك ؟ »

قال كرشة وجفناه القبيحان يتدليان على عينيه :

- « هل سمعت من قبل عن سمك يصاد بالخنجر ؟ »

هنا فكر الحاج فى أن يقنع توتو بالصيد .. ربما تجدى القوة الغاشمة لكنه يفضل دفع ثمن ما يأكله. هكذا يكتب شيكًا للفتى .. ويطلب من أحمد ان يبلغ الفتى بهذه الصفقة ..

ابتسم أحمد وتساءل ساخرًا :

- « هل هناك فرع للبنك الأهلى على هذه الجزيرة ؟ »

قال الحاج فى قرف :

- « وهل تحسبنا باقين هنا للأبد يا أستاذ ؟ .. سوف نعود يومًا ويمكن لهذا الحيوان أن يصرف الشيكات .. »

تقبل توتو العرض فى كثير من السخرية ومزق الشيك على الفور ، هكذا لم يجد الحاج مناصًا من القوة .. لوح بالمسدس مهددًا وأمر الفتى بأن يصطاد حالاً .. بدا واضحًا أنه لا يمزح ..

نزل الفتى مرغمًا واصطاد خمس سمكات . لكن الحاج أمر كرشة بأن يأخذ السمك ليتغدى به معه ، وأمام نظرات الآخرين المندهشة قال :

ـ « هذا السمك ابتعته منكم وهو كاف لإشباعى .. خمسة جنيهات هى ثمنه .. لو أردتم الأكل فلينزل البحر ثانية .. »

وابتعد فى تؤدة أمام نظرات (عبير) المغتاظة ..

لكن (توتو) ضحك طويلاً ، ثم أخذ الخنجر وانطلق فى بساطة نحو البحر ليصطاد المزيد من السمك ..

* * *

مرت الأيام .. لا سفينة ولا أمل ..

بدأ الحاج يفكر فى طريقة أخرى .. أحمد مهندس سفن .. لماذا لا يحاول بناء مركب من جذع شجرة من الجذوع الملقاة على الرمال ؟.. كم يريد لبنائها ؟

بدأت الفكرة تروق لأحمد .. لِمَ لا ؟.. يمكنه كذلك أن يحصل على مبلغ ممتاز من سفينة ستنقذه هو شخصيًا . طلب ألف جنيه وهو مبلغ فادح بمقاييس هذا الزمن ، وقد أصيب الحاج بالذعر ثم وافق مرغمًا .. لا يمكنه عمل مناقصة بين مهندسى السفن لاختيار العرض الأفضل ..

هكذا بدأ العمل ..

هذه من اللحظات التى تسعد فيها (عبير) بأنها أنثى .. لا أحد يطلب منها أى شىء بينما توتو وكرشة ـ ممثلا العضلات ـ يحكان جذع الشجرة بالخنجر والصخرة المدببة . المفترض أن هذا سيؤدى إلى تفريغ الجذع ..

طبعًا الحاج رجل وقور لا يطلب منه أحد شيئًا ، وأحمد مهندس يصدر التعليمات ولا يعمل ..

هكذا مضى العمل ببطء شديد جدًا ..

عشر علامات رسمها (احمد) على جذع الشجرة ليذكر نفسه بالأيام التى مضت .. عشر علامات فقط وبرغم هذا جاء الشتاء سريعًا ..

الصيف بدأ منذ شهر واحد .. وبرغم هذا لم يقل أحد أن الجزيرة مسحورة .

طبعًا هى مسحورة .. وجوههم التى بدأت تشيخ تقول الحقيقة بوضوح .. الساعات التى تجرى كأنها مراوح لا ساعات تقول الحقيقة .. التفاح الذى لا ينتهى من الشجرة أصلاً وينضج ويحمر خلال ساعات يقول الحقيقة ..

البرد يمزق أوصالهم ..

هناك رجلان عاريا الجذع هما (توتو) طبعًا و(كرشة) الذى أخذ الحاج جلبابه ليستر به جسد (عبير) لأنها كانت ترتدى ثيابًا خفيفة ..

هكذا كان على الرجلين مواجهة البرد بلا ثياب .. هذا بالطبع إذا كان من الممكن اعتبار ثياب أحمد والحاج ثيابًا ..

أيام عصيبة مرت عليهم هناك بين صراع وشجار وطعنات .. معظمها بسبب (عبير) .. الأنثى الوحيدة وسط رجال .. السيناريو الأسبانى هذه المرة ..

حتى جاء اليوم الموعود .. يوم تجربة المركب ..

ركب الأربعة فى المركب الذى صار يبدو معقولاً إلى حد ما ، وقد جلبوا الكثير من الطعام والماء والمؤن ، وقاموا برفعه حتى عبروا منطقة الماء الضحل وجلسوا فيه ينتظرون المد ..

جاء الماء ..

وببطء بدأ القارب يبتعد عن الشط .. وداعًا أيتها الجزيرة الغامضة .. لن نراك ثانية أبدًا لكننا لن نفتقدك بالتأكيد ..

القارب يبتعد .. ويبتعد .. والجزيرة صارت نقطة فى الأفق ..

فجأة شعر الجميع بأن القارب لا يتحرك أكثر ..

ثمة شىء خطأ..

ـ « لماذا توقفنا يا باشمهندس ؟ »

قال أحمد فى قلق :

ـ « أطلب من هذا الحيوان أن يجدف جيدًا .. »

قال الحيوان .. أقصد (كرشة) طبعًا :

ـ « أنا افعل ذلك .. »

كان ينظر لأحمد بحقد فلو أن النظرات تقتل لفعلت ..

وفجأة عاد القارب يتجه نحو الجزيرة وسط دهشتهم وشهقاتهم .. الجزيرة تستردهم بقوة وحماسة .. لا أحد يفهم ما يحدث ..

الجزيرة مسحورة .. الحقيقة تعلن عن نفسها بوضوح تام ..

لا شك فى هذا ..

لا يعرفون متى لامس القارب الرمال ولا كيف انقلب بهم فوجدوا أنفسهم ساقطين على ظهورهم صورة مجسدة للخيبة والذهول والغيظ ..

لا يعرف أحمد كيف وجد (كرشة) يجثم على صدره ، لكن الرجل كان صامتًا كأنه يتهيأ لقول ما .. الحقيقة أنه كان يجمع البصقة فى فمه .. تفوه !

أرسلها قوية غامرة على وجه أحمد وهتف :

ـ « يا لك من حمار !.. مهندس حمار !.. كل هذه الضوضاء وكل هذا الغرور ! »

أما الحاج فقد عرف على الفور أن الأمر يتجاوز قوانين الفيزياء ... الأمر يتعلق بقوى خارقة للطبيعة لذا جثا على ركبتيه وراح يحوقل ويبسمل ..

فتحت (عبير) فمها لتقول شيئا لولا أن شعرت بالمرشد يقف وراء كتفها .. هتفت فى دهشة :

ـ « بهذه السرعة ؟ »

ـ « القصة سهلة هذه المرة .. أعتقد أنك خمنتها وكذا القراء .. لا داعى لاستفزازهم بسرد قصة يحفظونها جيدًا .. »

ـ « لنفرض أننى لم أعرف .. »

ـ « هى مشكلتك أنت لأن الكل خمنها على كل حال .. هذه الجزيرة ليست مسحورة لكنها خارج قوانين الكون والحياة والموت والزمن .. ربما هى حياتنا ذاتها .. أحمد يرمز للعلم وأنت ترمزين للأنثى الأولى أو الأم .. إنها رواية كثيفة جدًا مفعمة بالرموز ويمكن قراءتها على مستويات عديدة ، لكن يمكن كذلك الاستمتاع بها على المستوى الأول كقصة مغامرات ممتعة .. »

ثم تأبط ذراعها أمام نظرات الرجال الأربعة المذهولة وقال لهم :

ـ « آسف يا شباب .. سيكون عليكم استكمال القصة من دون عنصر أنثوى .. أعرف أنها تضفى طابعًا ساحرًا على القصة كأنها الملح ، لكن على الأقل سيقلل هذا من مشاجراتكم التى لاتنتهى .. تذكروا أن هناك أمواجًا غريبة تدور حول الجزيرة فى حركة دوامية تتسع ثم تضيق حول الجزيرة .. هذه هى النقطة الرئيسة .. عليكم دراسة هذه الدوامية وسوف تعرفون طريقة الفرار من هنا وكيف تتحررون من أسر هذه الأمواج .. »

ثم لوح بذراعه مودعًا وقال لـ (عبير) وهما يمشيان فوق الرمال النادية :

ـ « هيه ؟.. هل عرفت اسم القصة ؟ »

همست له بالاسم الصحيح بينما البحر يطلق صرخاته الأبدية الموحشة طالبًا القرابين ...

* * *

قال لها المرشد :

ـ « هنا مشهد أيقونى لا ينسى .. الحسناء وشجرة التفاح ، كأنها الغواية الأولى .. ثم جمجمة هى الموت الذى ينتظرنا فى النهاية مهما فعلنا .. مهما قاومنا .. أعتقد أن القصة صارت واضحة تمامًا حتى لو لم تقرئيها قط .. »

هل عرفت القصة ؟

ابحث عن رقمها فى القائمة المنشورة ..

لديك كتيب من فانتازيا .. لديك صفحة من هذا الكتيب .. لديك رقم سطر فى الصفحة .. الآن أنت تعرف ترتيب الكلمة المطلوبة فى السطر ! هلم .. اكتبها ..

القصة الخامسة :

مذبحة حب

- 1 -

انتهى الحفل ورحل الضيوف فى تمام الحادية عشرة والنصف ..

(عبير) تخشى هذه اللحظة ، لأنها لحظة المواجهة .. عندما نكون مع الآخرين نؤجل لحظة مواجهة ذواتنا . ثم يرحلون فلا يبقى أمامك سوى اللقاء ..

لاحظت أن الضيوف جميعًا يتكلمون الفرنسية .. بالطبع صارت تفهمها وتتكلمها ببراعة ، لكنها قدرت أن الاحتمالات تضيق .. سيكون الاختيار سهلاً بين الكتاب الفرنسيين بالذات ..

كان (لوران) يصغى باهتمام لمحاورة بين ميشو العجوز وأوليفييه .. بالطبع كانت (عبير) تدرك جيدًا أنه لا يعى حرفًا مما يقال .. هذا الاهتمام الزائد يدل على أنه لا يعى حرفًا ..

وكانت تعرف جيدًا أنها ستقتله بالسكين عندما تنفرد به ..

ربما هو كذلك يعرف ..

من حين لآخر يلاحظ أحد الضيوف الكدمات على وجهها .. الكدمات التى تركتها قبضة (لوران) ، لكن (عبير) كانت تقول ضاحكة إن هذا بسبب سقوطها من أعلى الدرج .. ربما صدقوا وربما لا لكن ليس لديها أفضل من هذا ..

لا أحد يصدق .. الكل يعتبرهما أفضل وأروع ثنائى عرفوه فى حياتهم ..

عندما دقت الساعة معلنة انتصاف الساعة الحادية عشرة قال لها (جريفيه) وهو ينهض :

ـ « نحن مسرورون هنا .. ما من أحد يرغب فى الرحيل .. هنا معبد السلام ! »

قالت لها سوزان :

ـ « سآتى فى التاسعة صباحًا .. »

قالت (عبير) فى ارتباك :

ـ « كلا .. لا تفعلى حتى الظهيرة .. فلدى .. لدى .. لدى ارتبـاط معين فى الصباح .. »

سأكون قاتلة أو ميتة عند الظهر .. هذا مؤكد .. لوران الودود يرافق الضيوف بمصباح فى يده على الدرج ..

ثم يعود ..

الآن صار الزوجان وحيدين .. فأطلق كلاهما تنهيدة ارتياح.

لقد حان وقت الأفكار .. حان وقت الضغائن .. حان وقت عدم تبادل النظرات .. حان وقت الكراهية ..

عادا ويد لوران ترتجف حتى أنه وجد عسرًا فى الإبقاء على المصباح ..

جلسا لحظات صامتين ينظران لبعضهما .. ثم تساءل لوران :

ـ « ألن ندخل الفراش ؟ »

قالت (عبير) وهى تحدق فى الفراغ :

ـ « بلى .. سندخل حالاً .. »

قال لها دون أن ينظر باتجاهها :

ـ « سأعد الماء والسكر وأنت اذهبى لترى عمتك .. »

عندما خرجت (عبير) ، مد يده يتناول القنينة الصغيرة الخزفية .. القنينة التى تحوى المسحوق الذى سرقه من صديقه الصيدلى ، وأفرغ ما فيها من مادة سامة فى كوب الماء ثم أضاف له بعض السكر .

(عبير) تدخل المطبخ .. ها هى ذى السكين العملاقة اللامعة التى ابتاعتها تعد بالدم .. تأخذها وتدسها فى جيب مريولتها .

تعود له أسرع من اللازم .. أسرع مما توقع .. ترى القنينة فى يده .. يرتبك .. ينظر لجيبها .. يجب أن يكون غبيًا جدًا أو كفيفًا حتى لا يرى السكين العملاقة فى جيب المريولة ..

هكذا تبادلا النظرات .. وفهما ..

وفى اللحظة التالية دفن كل منهما نفسه بين ذراعى الآخر وانفجرا فى البكاء .. بكاء حار أليم لكن لا أثر للحنان أو الحب فيه .. هما ذئبان يدفن كل منهما وجهه فى فراء عنق الآخر ..

مدت (عبير) يدها من دون كلمة أخرى إلى كوب الماء وشربت نصفه .. ثم ناولته النصف الباقى فرفعه لشفتيه.

سقط هو أولاً بلا كلمة واحدة .. هذا نوع ممتاز من السم .. ليتها تكتب اسمه كى تستخدمه فى مناسبات أخرى !.. لكن الحقيقة أنه لن تكون هناك مناسبات أخرى .. إنها النهاية أيتها الحسناء ..

هو ذا عند قدميها .. الوحش الوسيم الجميل .. يمكنها أن ترى موضع أسنان (كاميل) على عنقه .. هى أيضًا ليس على ما يرام لكنها حية .. وتساءلت : كيف مات قبلى وهو شرب السم بعدى ؟

أعتقد أنها حيلة من فانتازيا لتسمح لى بمعرفة أية قصة كهذه .. لو بدأت بالموت فلن أعرف القصة أبدًا ...

هناك حيث رقد عند قدميها راحت تحاول تذكر أية قصة هذه .. عاشقان ينتحران بالسم ؟ روميو وجولييت ؟.. لا .. الجو ليس شكسبيريًا بالمرة والعاشقان الشابان لم يكونا فرنسيين بل كانا

إيطاليين .. ثم أن منظر هذين لا يوحى بأنهما عاشقان بل هما أقرب إلى لصين اختلفا على المسروقات .. الويل لها لو كانت إحدى القصص الغرامية الفرنسية لأنها كثيرة جدًا ومتشابهة وكلها حولها (حسن الإمام) إلى أفلام .. لن تعرف أبدًا ..

تركت ذاكرتها تسترجع كيف بدأ كل شىء ... وكيف وصلت إلى هذه المأساة ..

* * *

- 2 -

أب فرنسى وأم جزائرية ..

تعرف هذا عن نفسها .. وتعرف أن هذا الدم الأفريقى هو سبب طبيعتها الحارة الثائرة ..

لقد ماتت أمها وهى طفلة واضطرت لأن تذهب لتعيش عند عمتها (....) .. ما اسم العمة ؟.. (عبير) لم تعرفه . ببساطة لأن الاسم يجعل معرفة اسم الرواية سهلاً جدًا ... عندما يكون اسم بطلة القصة (كليوباترا) ، ثم يطلب منك أحد الأذكياء معرفة اسم المسرحية التى تشاهدها فإنه يمزح بالتأكيد !

هكذا عاشت (عبير) مع عمتها فى ذلك البيت الضيق الكئيب ..

للعمة ابن مريض سقيم هو (كاميل) .. فى الواقع هو لم يخرج من البيت قط ولم ير الشمس ولم يملأ رئتيه بهواء غير هواء البيت .. إنه نحيل هزيل أهمل شعر رأسه فتهدل على جبينه ، وقد ملأ وجهه النمش .. كان هذا الوهن وهذا الضعف مما أورث الأم حبًا مجنونًا لابنها حتى صارت لا تطيق فراقه لحظة .. كأن ضعفه زادها قوة ..

باختصار كانت العجوز تضرب عصفورين معًا ، فهى تعنى بابنة أخيها وفى الوقت ذاته تجد من يسلى ابنها المريض .. طبعًا هذا الموقف يحدث كثيرًا فى الحياة الحقيقية ، وغالبا ما تكشف المرأة عن تحيز يمكن فهمه بسهولة نحو ابنها ..

مهما حاولت أن تكون عادلة ، فهى تنحاز لابنها وتقسو على الفتاة .. والمشكلة أن (عبير) تتمتع بجسد سليم صحيح ، لكنها مرغمة على مقاسمة الفتى شقاءه ، وربما شربت الدواء معه . وحقًا كانت غرفته تعج بالأدوية ..

لكن العمة كانت تعرف دور (عبير) جيدًا .. سوف تربيها لتسلى ابنها فى طفولته ، ثم عندما تبلغ سن الزواج ستصير عروسًا ممتازة ربتها على يدها وتعرف طباعها جيدًا ..

هكذا مرت الأعوام ..

(عبير) الآن فى سن الحادية والعشرين .. الحق أنها دفنت شبابها بالكامل فى مقبرة (كاميل) وأمه .. لم يكن كلامها إلا همسًا ، ولم تلعب إلا ما يريد (كاميل) من ألعاب ... لهذا اكتسبت طابعًا باردًا ميتًا مخيفًا بعض الشىء برغم جمالها الواضح ..

وفى النهاية تم الزواج بالابن السقيم ..

لم يتساءل أحدهما إن كان يحب الآخر أم لا .. الزواج شىء محتوم منذ ولدا مثلما يعرف الطفل أنه سيجتاز المرحلة الثانوية ويدخل امتحان الثانوية العامة .. هما يعرفان أنهما سيتزوجان يومًا ولا علاقة للمشاعر بهذا ...

فقط فى الليل يتجه الزوجان لغرفة النوم حيث يرتمى (كاميل) على الفراش ويرتجف من الحمى . وهى تجلس جوار النافذة ترمق الظلام البهيم الذى لا نهاية له ، وتتساءل : ما جدوى حياتها ؟ ما جدواها ؟

* * *

بعد الزواج قال (كاميل) لـ (عبير) :

- « سوف نرتحل إلى باريس لأبحث عن عمل .. »

كان يبحث عن عمل إدارى خمول لا يفعل فيه أى شىء .. وهذا صعب طبعًا ..

هكذا تنتقل الأسرة الثلاثية إلى ذلك البيت الباريسى الكئيب ، الذى يصفه المؤلف فى عشرات الصفحات فى بداية الرواية ، وهى الصفحات التى جعلت كثيرين يلقون بالرواية جانبًا لأنهم اختنقوا ..

لشد ما هو مظلم !.. لشد ما هو رطب كئيب !.. إن بيتهما القديم ليبدو جنة بالمقارنة بهذا ..

وفى ممر (دى بون نيف) - الجسر الجديد - تفتتح العمة متجرًا لبيع الكلام الفارغ ، مثل الإيشاربات والاكسسوارات ونماذج التطريز ، تساعدها فيه (عبير) . (كاميل) وجد عملاً فى شركة سكك حديد بمائة فرنك شهريًا ..

وفى ليلة الخميس كان أصدقاء الأسرة الباريسيون الجدد يأتون ، ومنهم الضابط فيرنون وكهل يدعى (ميشو) هو وابنه (أوليفييه) وزوجته ..

فى السابعة مساء الخميس تشعل الأم نار الموقد وتضىء المصباح الكبير ، ثم تعد قطع الدومينو .. هؤلاء القوم يلعبون الدومينو طيلة اليوم .. ثم تعد الشاى .. وتدب بعض الحياة فى البيت ..

هى ساعات تبدد رتابة وجهامة وقتامة الحياة ..

على أن (عبير) ظلت صموتًا كئيبة كما هى ..

إلى أن ظهر (لوران) ..

جاء به (كاميل) فى يوم خميس يقدمه للأسرة .. إنه صديق طفولته .. لقد اكتشف أنهما يعملان فى ذات الشركة .. شاب وسيم قوى البنيان باسم الثغر .

كانت هذه لحظة سعيدة فى حياة الصديقين .. لكنها فى الحقيقة كانت أسوأ لحظة ممكنة ..

يدعوه لزيارته فى البيت ..

عندها ولدت النظرة الأولى .. وللمرة الأولى فى حياتها تقريبًا ترى عبير رجلاً سليمًا يتمتع بصحته ، ويمزح ويثرثر .. لقد اعتادت أن الرجال مرضى دومًا ...

عندما حكى قصته عرفت (عبير) أن حياته كانت خليطًا من الخمول والشهوات والأنانية .. إنه الوحش الجميل لا أكثر ولا أقل ..

لم ينجح فى شىء ، لهذا قرر أن يكون فنانًا ! ، لأنه اعتبر الفن هو المهنة الوحيدة غير المتعبة ومهنة من لا مهنة له .. لم يملك أية موهبة على الإطلاق ، لكن الفن سمح له بالانغماس فى الرذائل وأن يعيش حياة بوهيمية ..

هكذا صار متجر الأسرة هو الهدف الدائم له .. لم يعد يتردد يوم الخميس بل كل يوم تقريبًا ..

كان خبيرًا بالنساء ، وقد رأى عينى (عبير) .. عندها عرف !!..

هذه المرأة لن تقاومه كثيرًا .. سوف تقع فى حبه على الفور ..

ـ « كاميل .. أنت وسيم وملامحك جذابة فعلاً .. أنا راغب فى رسمك ..! »

تحمس كاميل لهذه الفكرة وقبل على الفور ، وبالتالى قبل أن يعيش هذا الوغد عنده طيلة الوقت .. وبالطبع لم يكن قادرًا على معرفة هل ما يرسمه له لوحة جميلة أم هى نوع من قىء الكلاب الملون .. فقط كان لوران يتظاهر بالعبقرية ويكرر :

ـ « سوف ترون !.. سوف ترون !.. فقط انتظروا حتى تكتمل .. »

لكن اللوحة لن تكتمل أبدًا ...

* * *

- 3 -

كان (لوران) فنانًا ، لكنه ـ أو لهذا ـ لم يكن يتمتع بضمير يقظ .. بالواقع لم يكن لديه ضمير على الإطلاق ، لهذا لم يكن لديه أى مانع فى أن يعجب بزوجة صديقه برغم أنها ليست من الطراز الذى يروق لـه .. هذا حب من طراز (الاستخسار) لو شئت استعمال العامية ..

الأسوأ هنا أنه أعجب بها لأنها موجودة ورخيصة ، لن تكلفه الكثير من المال مثل النساء اللاتى عرفهن قبل هذا .. بالطبع لم ولن يخبرها بهذا !

ربما نلتمس لـ (عبير) بعض العذر ، فهى لم تعرف الحب فى حياتها .. ظلت دومًا مزيجًا من خادمة وممرضة ..

ربما نقبل هذا فى البداية ، لكن الأمر يتطور إلى عاطفة كاسحة مريضة وكان عليها أن تأخذ الحذر .. إن الخيانة فى باريس مقيتة منفرة كأية خيانة أخرى فى أى مكان من العالم فى أى زمن ..

من الغريب أنه عندما دنا منها حرقته روحها ، وشدته شباك العنكبوت الكامنة فى نفسيتها .. هكذا لم يعد يستطيع الفكاك .. لا يعرف كيف ولا متى وجد نفسه لا يطيق الحياة من دونها !!

كان يحسبها زهرة يرشف رحيقها ثم يحلق مبتعدًا ، فاتضح أنها من النباتات آكلة الحشرات التى تقف الذبابة على حافتها لتلعق العسل؛ فتنزلق إلى إبريق لزج لا يمكن الفرار منه !

لقد صار لوران صديق الزوج وحبيب الزوجة وابن الأم المفضل !

مع الوقت يقرر الحبيبان أن الطريقة الوحيدة لاستمرار حبهما هى التخلص من (كاميل) ، فالزواج ..

هذا كذلك يحقق له مزية أخرى هى أن الأم لن تعيش طويلاً بعد ابنها الحبيب ، وهذا يعنى أنهما سيرثانها على الفور .. هكذا دعا لوران صديقه وزوجته إلى الغداء فى مطعم باريسى فاخر ..

ـ « سوف نذهب فى جولة بالقارب وقت الغروب .. »

قالها (لوران) فى ترغيب ، وهكذا تحمس الشاب المريض للفكرة .. هو الذى لم ولن يفعل هذا أبدًا .. أما (عبير) فارتجفت لأنها رأت فى عينى لوران ما ينتويه .. .

ينطلق القارب فى رحلته فى نهر السين التى لن يعود منها سوى اثنين .. لقد أمسك به (لوران) من ثيابه وطوح به فى الماء ..

كان يمزح معه وحمله من ذراعيه بينما (كاميل) يقهقه ضاحكًا ويؤكد أنها دعابة سخيـ ....

ولكن !

لقد نظر للخلف فرأى عينى لوران ثم نظر إلى (عبير) فرآها تراقب المشهد وقد تقلص وجهها .. لم تكن تنوى النهوض وقد عرف هذا على الفور ..

تمسك كاميل بالقارب وصرخ :

ـ « عبير !.. عبير ! »

لم تفعل سوى أن غطت أذنيها وأدارت وجهها بعيدًا عن المشهد ..

أعتقد أنه فهم كل شىء فى هذه اللحظة الوجيزة ..

الحق إن فرصته معدومة وهو السقيم الواهن ، فى يد هذا الوحش كامل العافية مكتنز العضلات .. لم يستطع سوى أن يغرس أسنانه فى عنق (لوران) ، والألم زاد لوران غلاً وقوة فألقى بغريمه فى الماء ..

ارتفع الفتى وصرخ ثم حلت الفقاقيع مكانه ..

من جديد ارتفع وصرخ .. ثم تمسك بالقارب فضربه لوران على أطراف أنامله ..

غاص من جديد وسط الفقاقيع ... هذه المرة للأبد ..

قلب لوران القارب ، ثم سبح مع (عبير) المصدومة الذاهلة إلى الشاطئ حيث كان حشد من الصيادين ، وراح يلطم ويصرخ .. لقد فقدت صديقى !.. ليتنى ما أخذته فى هذه النزهة اللعينة !.. لقد انقلب بنا القارب .. يجب أن أجده !

وعاد يسبح فى جنون متظاهرًا بأنه يبحث ..

كان هناك الكثير من الشهود على أنه كان ملتاعا وعلى أنه حاول كثيرًا جدًا ..

هكذا عادا وهكذا زعما أن (كاميل) ظل يتواثب وفقد صوابه تمامًا ، من ثم انقلب القارب وسقط فى الماء ...

وفى اليوم التالى خرجت الصحف تحكى المأساة وتحكى شجاعة الصديق الذى كاد يموت محاولاً إنقاذ صديقه ..

يجرى البحث عن جثة الفتى لعدة ليال ، وفى النهاية يجدونها وقد انتفخت وصارت كابوسًا مجسدًا ..

الأم رأت جثة ابنها .. بالطبع لم تتحمل شرايين مخها أكثر وأصابها الشلل ..

- 4 -

هكذا تزوج الحبيبان بعد فترة الحداد ، لكن من شبه المستحيل أن تبدأ قصة حب ناجحة بجريمة قتل ..

لكى تكون قاتلاً ينعم بجريمتـه يجب أن تكون بارد الأعصاب معدوم الذكريات كحيوان مفترس .. لو لم يكن الأمر كذلك فأنت قد حكمت على نفسك بالجنون ..

الحق أن الجريمة لم تكن هينة ولم يكن موت كاميل سهلاً ، كأنه قرر أن ينتقم قبل موته بأن يترك لقاتليه مئات الرؤى المفزعة .. قليل من الناس من تكون وفاته بهذه القسوة .. قليل من الناس من يتوسل بكل هذا الإلحاح ومن يمطر قاتليه بكل هذه النظرات ..

شبح (كاميل) يتدخل فى كل شىء ..

لم يعد بوسع الواحد منهما أن يرى الآخر من دون أن يتذكر الجريمة .. وتلاشى الحب تمامًا .. حتى أنهما صارا يفران فرارًا من أية خلوة مشتركة .. لم يعد الشيطان ثالثهما فحسب ولكن كاميل أيضًا صار رابعها ..

الغريب كذلك أن رسوم لوران صارت أجمل وصارت تشى بموهبة حقيقية ، كأن الرعب والخوف شحذا موهبته ... لكن كل رسوم (لوران) تبدو له كأنها تحمل صورة (كاميل) ..

وبرغم هذا ظلا يعنيان بالعجوز عمة (عبير) مما دفع المرأة إلى أن توصى لهما بمدخراتها .. كانا يمثلان ببراعة أمام الأصدقاء حتى إن صديق الأسرة وصفهما بـ (اليمامتين السعيدتين) ..

لكن الزوجين يفقدان حذرهما أحيانًا ..

عندما تعنى بعجوز مشلولة أقرب إلى جثة حية فأنت لا تضع ثقلاً على لسانك .. لهذا قد يغيران لها ملاءة السرير ويتبادلان اللوم .. أنت من فعل هذا .. أنت من أغريتنى كى أتخلص منه .. إلخ ..

العجوز تسمع بعينين مفتوحتين مذعورتين .. لقد بدأت تستنتج أشياء ثم بدأت تعرف ..

هذان الذئبان قتلا ابنى .. صغيرى الواهن .. قتلاه كى يتزوجا ..

هذان الزوجان اللطيفان الحنونان .. ألقيا بابنى فى الماء وشاهداه يغرق !

ليتنى أتحرك .!. ليتنى أستطيع الصراخ !

هذا هو العذاب الذى لم يتصوره مؤلف أسطورة (برومثيوس) .. عذاب لا يمكن تصديقه أو وصفه ..

يجب أن تتكلم .. يجب ..

يجتمع الأصدقاء للعب الدومينو عندهم ، عندها تظهر العجوز معجزة .. لقد حركت يدها ..

- « إنها تتحرك ! »

- « إنها ستشفى ! »

- « يبدو أنها تريد كتابة شىء .. هاتوا لها قلمًا !! »

يضعون قلمًا فى يدها أمام نظرات الزوجين المذعورين ، فتكتب بصعوبة بالغة :

- « (لوران) و(عبير) قـ ... »

ثم تعجز عن استكمال العبارة .. يسقط القلم وتموت يدها من جديد .. يتبارى الموجودون فى تفسير ما أرادت قوله .. يقول أحد العباقرة من الموجودين :

- « أرادت أن تكتب : (لوران) و(عبير) قد أحسنا العناية بى .. »

عندما رحل الضيوف رأت (عبير) فى عينى لوران ذات النظرة ..

هل تريد أن تقتلها هى الأخرى كما قتلت ابنها ؟

إنها شاهد خطر .. لكنك لن تمسها .. لن تكون هناك جريمة أخرى .. هل تسمعنى ؟.. لن تكون هناك جريمة أخرى !

لقد صارت الحياة جحيمًا وأدركت (عبير) أن عليها أن تقتل نفسها .. لكن لم تقتل نفسها؟.. لربما كان كافيًا أن تقتل (لوران) ... ...

* * *

كان الألم قد بدأ يلوى أحشاءها وهى تتذكر هذا كله ..

على قدر علمها لم تكن قط شريرة عابثة لهذا الحد فى أية قصة سابقة لها .. كانت شريفة أو على الأقل ضحية ، لكنها فى هذه المرة شريرة بالمعنى الحرفى للكلمة ، ولربما هى ضحية كذلك .. لكن أية محكمة لن تعفو عنها .. هى لن تعفو عن نفسها ...

الألم يعتصر أحشاءها .. هذا السم ممتاز .. إنه يتركك فى تهذيب للحظات تتذكر فيها سبب انتحارك ، ثم يعود ليمارس عمله ويخنق .. نعم .. السم يخنق .. لكنه يخنق الأحشاء ذاتها ..

لوران مات منذ زمن وسبقها فى الرحلة .. إنه يعرف الآن أشياء كثيرة ..

لكن ما هذه القصة ؟.. ما اسم هذه القصة المظلمة الكئيبة ؟

فوجئت بمن يدخل الغرفة ليقف فوق جثة (لوران) ، وكان يحمل قنينة صغيرة ناولها لها ..

- « المرشد ؟. .. ما .. ما .. هذا الألم ؟ »

- « لا تضيعى الوقت فى أسئلة غبية .. عندما يجرع أحدهم السم ثم يتساءل عن سبب الألم فهو أحمق .. هذا ترياق وإننى لأنصحك بشربه حالاً لو كنت مكانك .. »

جرعت ما بالقنينة ، وانتظرت أن تزول تلك القبضة القوية عن أحشائها ..

قالت وهى تتحامل على نفسها :

- « هل أنا .. هل أنا مدام (بوفارى) ؟ »

قال فى استمتاع :

- « تفكير ممتاز ... فعلاً التقارب بين الروايتين عظيم ، وهما مثال لما يسمونه (المذهب الطبيعى) فى الرواية ، دعك من أن الروايتين كانتا فضيحتين فى ذلك الزمن .. بالنسبة لمقاييس الأدب وقتها كانت هذه الرواية صادمة واعتبرت من الأدب الإباحى (البورنو) .. اليوم هى من عيون الأدب الفرنسى .. »

زال الألم تماماً وصارت قادرة على أن تفرد ظهرها وتقف معتدلة ..

سألته من جديد :

- « المشهد مألوف .. لا شك فى هذا .. »

- « أنت بالتأكيد رأيت مرارًا فيلم (لك يوم يا ظالم) .. إنه مسروق بالحرف من هذه الرواية ، لكنك لا تجدين اسمها ولا اسم مؤلفها فى بيانات الفيلم كالعادة ! »

اتجهت للباب أمام نظرات الأم الحاقدة فى محبسها الأبدى .. لكن (عبير) تجاهلتها .. ليس بوسعها أن تلوم نفسها على دور لم تختره قط .. سألها المرشد :

- « هل عرفت القصة ؟ »

- « أعتقد هذا .. »

- « إذن أنت بارعة فعلاً .. هيا إلى القصة التالية .. »

* * *

قال لها المرشد :

- « قاتلان كانا عاشقين ، ينتحران بالسم جوار فراش امرأة عجوز مشلولة راضية عما تراه .. هذه صورة قوية جدًا وشهيرة جدًا .. حاولى أن تتذكرى ! »

هل عرفت القصة ؟

ابحث عن رقمها فى القائمة المنشورة..

سبق لك أن حصلت على كلمة .. هذه الكلمة هى الجزء الأول من عنوان بريد إلكترونى .. لكن لابد أن تلصق بها الرقم الذى حصلت عليه الآن .. تلصقه مباشرة بلا مسافة ولا شرطة ..

مثلاً لو كانت الكلمة هى Abeer والرقم هو 33 فإن العنوان البريدى يصير :

Abeer33 @

لكن العنوان لم يصر كاملاً بعد كما تلاحظ .. انتقل للقصة التالية إذن ..

القصة السادسة :

أطفال ذئاب

- 1 -

قال لها (المرشد) وهما يركبان قطار فانتازيا :

- « الآن اقتربت جدًا .. لقد حصلت على اسم كامل لعنوان البريد الألكترونى .. »

قالت وهى تفرد ساقيها على المقعد أمامها :

- « إذن أنا لست بالغباء الذى حسبته فى نفسى .. ما زلت أذكر القصص .. فما يبقينا هنا إذن ؟ »

- « أنت لا تعرفين هل هو فى هوتميل أم ياهوو أم جى ميل أو لعلها شركة بريدية أخرى .. »

قالت فى خبث :

- « سوف أرسل نفس الرسالة لكل العناوين .. هذا حل لا بأس به .. »

ضحك كثيرًا بطريقته السمجة الباردة وقال :

- « هذا يشبه من يرى مباراة معادة لأن هذا يريحه من التوقع .. كما أرى الشباب يلعبون ألعاب الفيديو فينقبون فى مواقع الغش cheat عن طريقة يتحايلون بها على اللعبة لقهر عدة مستويات .. لماذا يلعبون إذن ؟.. كنت أحسب أن الغرض هو اللعب وليس إنهاء اللعب .. »

ثم حك رأسه وقال :

- « على كل حال هذه طريقة مجدية لكنى لا أنصح بها .. أقترح أن تعيشى هذه القصة وتحاولى التخمين .. »

- « ليكن .. إلى أين نحن ذاهبون ؟ »

- « إلى جزيرة مهجورة طبعًا .. »

أخرجت الكتيب الذى يحوى أسماء القصص وراحت تستعرض العناوين ثم قالت :

- « نحن إذن فى قصة (البحيرة الزرقاء) ؟ »

قال فى غيظ :

ـ « كفى عن التذاكى وابدئى العمل .. »

* * *

كانت المشكلة هى البحث عن قائد ..

هذه المجموعة الصغيرة يجب أن تجد قائدًا ، وقد كانت (عبير) تعرف أنها تصلح لهذه المهمة ، لكن كيف يمكن إرغام هؤلاء الفتية على أن يختاروها وهى فتاة ؟.. أى أن فرصتها شبه معدومة ..

الأسوأ أنها كانت الفتاة الوحيدة ..

لا تشعر براحة لهذا ، وقدرت أن السبب هو أن القصة تحدث غالبًا لمجموعة من الصبية الذكور .. لا دور لها ما لم تقم فانتازيا بتعديل بعض الأشياء ... إما أن تتحول هى إلى ذكر أو يتم اقحام أنثى فى القصة ..

هناك (جاك مريديو) وهو فتى شرس امتلأ وجهه بالنمش ، ومن الواضح أنه راغب فى القيادة ..

تصايح الفتية :

ـ « نعم .. لابد من الانتخاب .. »

تقدمت (عبير) فوق الرمال المبتلة ورفعت القوقعة .. القوقعة التى صارت رمزًا للقيادة ، وقالت :

ـ « من يتبعنى ؟ »

هنا ارتفعت الأيدى .. واحد .. اثنان .. ثلاثة .. ستة ..

يبدو أن كفتها ترجح .. هذا واضح ...

وفهمت أن هناك عاملاً آخر غير الكفاءة يؤدى دوره .. إنها رشيقة جميلة ، وفى سن المراهقة .. أول سن المراهقة .. تبدو كحورية حافية القدمين وشعرها يتطاير مع نسيم البحر ، وعلى وجهها مسحة فاتنة من الحزم .. الحزم يبدو رائعًا على وجه جميل ..

لقد سقطوا أسرى لسحرها ..

إنها القائد فعلاً ..

(جاك) كان من الواضح أنه ليس خصمًا سهلاً .. إن الهزيمة لم ترق له على الإطلاق ، وبرغم أنه فرض سلطته على عصابته فكانوا لا يأتمرون إلا بأمره ، لكن هذه المجموعة من الصبية المشاغبين أقوياء البنية لم تكن قادرة على فرض زعيمها على الجميع ..

نظرت (عبير) لمجموعة (جاك) وهى تمسك بالقوقعة العملاقة وهتفت :

ـ « يمكن لفريقكم أن يكون جيشنا أو الصيادين .. »

ثم صعدت فوق صخرة ولوحت بذراعيها هاتفة :

ـ « يجب أن نستكشف المكان .. مجموعات استكشافية من ثلاثة فتية .. يجب كذلك أن نشعل نارًا يمكن أن تراها الطائرات .. نارًا لا تنطفئ أبدًا .. »

قال صبى بدين يلبس عوينات سميكة واسمه (بيجى) متشككًا :

ـ « ومن أين لنا بالنار ؟ »

(بيجى) هو الاسم الذى اختاره الصبية الساديون لهذا الصبى ، هو تدليل للفظة (خنزير) طبعًا كما تلاحظ ..

نظرت له (عبير) ساخرة (ليس لبدانته ولكن لسذاجته) وقالت :

ـ « حقًا .. من أين ؟ »

ـ « من أين ؟ »

أشارت لعويناته وقالت :

ـ « هذه عوينات قراءة .. أى أنها محدبة .. لدينا شمس وخشب وعدسة محدبة .. انتهت القضية .. »

إنها سريعة البديهة وواسعة العلم .. ممتاز !!

واختارت لمجموعتها الصبيين (سيمون) و(جاك) للاستكشاف ..

هكذا انطلق الفتية فى كل اتجاه من هذه البيئة الاستوائية .. جزيرة من الطراز الحار عالى الرطوبة ، حيث يتلوى النخيل فى كل اتجاه .. وحيث يتعفن كل شىء بسهولة ..

يمشون وسط الغابة ، بينما (عبير) تجهد ذهنها لتتذكر هذه القصة ..

لا .. ليست (البحيرة الزرقاء) بالتأكيد لأن بطلى تلك القصة كانا فتى وفتاة فقط ... ربما (الجزيرة الغامضة) لجول فيرن ؟.. لا .. هى ليست فى القائمة ، وكان الأبطال جنودًا هاربين من الحرب الأهلية الأمريكية ، دعك من أنهم أشعلوا النار بزجاجة ساعة ملئوها بالماء ..

من هم هؤلاء الصبية ؟.. كل شىء فى لهجتهم يدل على أنهم بريطانيون جدًا .. بريطانيون ومن طلبة المدارس الراقية .. تعرف أنهم الناجون من سقوط طائرة كانت تقلهم .. أين الطائرة ؟.. واضح أن دورها انتهى .. ماذا كانوا يصنعون على الطائرة ؟.. على الأرجح رحلة مدرسية ما .. فلابد أن مدارس إنجلترا ترسل طلبتها فى رحلات مدرسية بالطائرة ، كما ترسل مدارسنا طلبتها فى أتوبيس الرحلات الصدئ المتهالك .. لا بأس .. الأتوبيس لا يسقط فى المحيط على كل حال ..

معنى هذا أنهم مجموعة من الصبية بين السابعة والرابعة عشرة على هذه الجزيرة .. لاحظت أن كبار السن نسبيًا يطلقون عليهم اسم biguns والصغار يسمونهم littluns .. لا كبار .. لا سلطة .. هذا ممتع .. هذا مثير .. سوف يلعبون طيلة اليوم ، ولن تكون هناك دروس أو أوامر أو تدخلات لا مبرر لها .. سوف يكونون سادة أنفسهم ..

لكنه كذلك قد يكون مخيفًا ..

أحيانًا يكون الكبار مهمين للغاية ..

* * *

- 2 -

بدا واضحًا أن الجزيرة مهجورة تمامًا ..

لحسن الحظ لن تكون هناك مشكلة فى الماء ولا الطعام ، لكن هناك بالتأكيد مشكلة فى العثور على نجدة ..

هنا سمعوا زئيرًا أو خوارًا ..

ونظروا فى دهشة ليروا بين الأعشاب خنزيرًا عملاقًا يحاول الفرار .. وثب (جاك) بسرعة عليه ، ومد يده فى نطاقه ليخرج خنجرًا .. رفعه .. أحكم التصويب ثم ..

لا شىء ..

لقد انتفض الخنزير وأطاح بمن حاصروه ثم اختفى فى الدغل .. كانوا يفهمون سبب فشل (جاك) .. الموقف كان أكبر منه .. الدم كان أقوى منه .. سوف يحتاج لوقت طويل كى يستطيع قتل حيوان ينبض بالحياة بسهولة ..

عادت (عبير) إلى الشاطئ ، فوقفت فوق صخرة عالية ونفخت فى القوقعة فتردد الصوت المكتوم الرهيب .. سمع الصبية الصوت الذى يدعوهم للتجمع فهرعوا يلبون النداء ..

لقد تكفلت عدة ساعات على الجزيرة بجعلهم يشعرون بالرعب والقلق. أرهقوا جدًا وتسلخت أجسادهم من الشمس والصخور ..

صاحت (عبير) فى الصبية المكتئبين :

- « أبى يعمل فى البحرية ، وقد قال لى يومًا إنه لم تعد هناك جزر نائية أو مجهولة على وجه الأرض .. لابد أن جزيرتنا هذه معروفة على الخرائط .. فقط يجب أن نحافظ على النار المشتعلة .. »

هكذا انطلق (جاك) ورفاقه كى يجمعوا الأعشاب الجافة والخشب .. استعانوا بالنظارة كى تشتعل جذوة النار فى الخشب ، ثم راحوا يطعمونها بالأخشاب .. كل صبى وجد لنفسه مهمة وهى أن يجلب قطعة خشب من مكان ما .

ارتفعت النار وعلت وراحت ترسل الشرر الأصفر لأعلى ، فراح الصبية يتواثبون ويرقصون كأن مرآها حرك فى نفوسهم مشاعر الإنسان البدائى ..

* * *

مرت الأيام ..

جاك صار يمشى عارى الجذع وقد لوحت الشمس بشرته وامتلأت بالبقع ولدغات البعوض .. الحق أنه كان فخورًا بهذه الخشونة ، وبدأ يتصرف كصياد محترف يفهم الغابة جيدًا ..

صنع لنفسه ولرفاقه عدة حراب وراح يجرب حظه فى الصيد طيلة اليوم .. أخيرًا تعلم كيف يقتل وكيف يذبح الفريسة ، ومن المخيف أنه وجد فى هذا نشوة غامضة ..

لاحظت (عبير) بوضوح تام أنه يتحدى سلطتها وأن شراسته تزداد يومًا بعد يوم ..

المشكلة أن الصبية وجدوا أن الصيد أكثر إثارة ، وهكذا أهملوا الشعلة حتى انطفأت .. لابد أن تكتشف هذه الحقيقة القاسية وأنت ترى تلك السفينة تبتعد فى الأفق ..

كانت فرصة ممتازة لكن لم يكن هناك دخان .. لم تشك السفينة فى شىء وابتعدت لتغيب فى الأفق ...

انفجرت صارخة فى جاك ومجموعته :

ـ « يا بلهاء !!.. أنتم تركتم الشعلة تنطفئ ! »

أدرك الصبية فداحة خطئهم عندما عرفوا أن سفينة مرت بالجزيرة ولم تلحظ شيئًا .. هكذا بدأ البعض يثور على (جاك) .. إن ولعه بالصيد وتعطشه للدم سببًا هذا ...

هكذا جلس الصبية يلتهمون الصيد الذى جلبه (جاك) .. برغم كل شىء هم أطفال وقد نسوا تبادل اللوم عندما شموا رائحة اللحم المشوى ..

أثناء الغداء اتجهت (عبير) للصخرة فنفخت فى البوق كى يلتف الصبية حولها ، وصاحت :

ـ « المشكلة هنا أنه لا شىء يتم أبدًا .. نتكلم عن بناء أكواخ فلا ينفذ أحد .. نقرر إشعال النار فتهملونها .. صغار السن بيننا لا يفعلون شيئًا سوى الأكل والبكاء .. ثم إنكم لا تتحركون أبدًا لأنكم خائفون من الوحوش .. الوحوش لا وجود لها على جزيرة صغيرة كهذه .. لا توجد أسود ولا نمور .. »

الحقيقة أن صغار السن كانوا مؤمنين بوجود أشباح أو وحوش غامضة على هذه الجزيرة .. كانوا يرون أشياء كثيرة فى الكوابيس .. وهذه الأشياء كانت تبدو حقيقية أكثر من اللازم ...

نهض جاك ووقف فى مركز الدائرة ولوح بالرمح الذى اصطنعه وصاح :

- « أنا كفيل بالقضاء على هذا الوحش لو وجد .. »

كانت أوهام الجبروت قد استبدت به ، وبدا أن هذا يروق للصبية كثيرًا .. هذا يزيد من شعبيته. كان علينا من البداية أن نختار رجلاً شجاعًا ولا نختار فتاة ..

الأطفال تحمسوا له لأنه على الأقل يعد بحمايتهم من الوحش ..

وفى ذعر بدأت (عبير) تلاحظ أن تلك المجموعة المكلفة بالصيد صارت أكثر توحشًا ..

لقد صار الصبية شبه عراه ولطخوا وجوههم بالألوان كالهنود الحمر ، كما ازدادوا خشونة .. صاروا يرقصون حول النار ليلاً ويمشى كل واحد منهم حاملاً رمحًا ..

أجساد ملطخة بالطين .. نظرات مفترسة كالوحوش .. قلوب بلون الليل ...

من الواضح تمامًا أن قناع الحضارة قد بدأ يسقط ليظهر الوحش بالداخل ... كانت قشرة طلبة المدارس البريطانية المهذبين شديدى الرقى واهية جدًا .. ..

لم تكن (عبير) حتى هذه اللحظة تعرف اسم القصة ولو عرفتها لتذكرت أن هناك فيلمًا سينمائيًا أنتج عنها ، وقد اضطر المخرج

إلى أن يأتى للصبية الذين يمثلون الفيلم بعدد من الخبراء النفسيين للحفاظ على نفسيتهم ، لأن الممثلين الأطفال بدءوا يتحولون إلى ذئاب فعلاً !

بالفعل لاحظت عبير هذا ، والأسوأ هو هذا الشىء المخيف الذى وجدته قرب الغابة ..

الشىء المعلق على رمح والذى تحيط به سحابة كثيفة من الذباب ..

* * *

- 3 -

أزيز الذباب كان أول ما شد انتباهها ..

عندما اقتربت أكثر ، كانت الرائحة الشنيعة لا تغرى بالدنو ، لكنها دنت لأن الفضول أقوى من الاشمئزاز..

أخيرًا فهمت .. إنها رأس خنزير تم غرسها فى الأرض على رمح .. وقد تكاثر الذباب حولها طبعًا ..

هذا الرأس نوع من القرابين مقدمة للوحش الذى يعتقد الصبية أنه يحوم فى الجزيرة ، وهكذا تولد فكرة الأصنام لدى المجتمعات .. هذا هو التوثين ..

لن تمر بضعة أشهر إلا ويعتقد الصبية أن هذا الرأس إله وثنى يحميهم .. ولسوف يعبدونه ويقدمون له القرابين ..

لابد من انتزاع هذا الشىء المقيت ..

لكن الأمر صار أقوى منها فعلاً .. لن تستطيع انتزاع هذا الرأس إلا ويفتك الصبية بها ..

لقد اهتزت سلطتها كثيرًا .. فكرة الوحش الخفى الذى يجول فى الجزيرة تتضخم ، ومن الواضح أن جاك يزكيها لأنها تمنحه سلطة على الصغار ..

هكذا وفى كل لحظة يتسرب بعض من انتخبوها ليلحقوا بمعسكر (جاك)..

(جاك) الذى لم تعد تراه تقريبًا .. إنه يقيم مع عصابته فى الناحية الأخرى من الجزيرة ، فى منطقة صخرية أطلق عليها اسم (قلعة الصخر) ..

فى معسكرها مازال (سام) و(إيريك) التوءمان المتماثلان ، وما زال الصبى البدين (بيجى) لكنه غير مفيد على الإطلاق .. الفائدة الوحيدة له هى عويناته لأنها طريقتهم الوحيدة للحصول على النار ..

فى الحقيقة كان هذا سبب الهجمة الدامية الأولى ..

لقد قرر الصيادون أن يسرقوا عوينات الصبى ، لأنها تساوى ثقلها ذهبًا .. عندما تعيش فى جزيرة مهجورة تكون النار أهم شىء فى الوجود .. الذهب لا يطهو الطعام لكن النار تفعل .. الذهب لا يبعث الدفء لكن النار تفعل .. الذهب لا يستدعى الطائرات المارة بالصدفة لكن النار تفعل ..

سرقت العوينات ولم يعد (بيجى) يرى ..

وفى المساء وقفت (عبير) مع أتباعها القليلين وأقسمت أن يستردوا العوينات التى سرقت منهم ..

سوف نقوم بالسطو على معسكر (جاك) تحت جنح الظلام ..

* * *

ومع الظلام ينطلق الصبية .. فتاة نحيلة مراهقة وصبى بدين لا يرى تقريبًا وتوءمان ..

مجموعة مثيرة للشفقة فعلاً ..

الصنم الذى يحمل رأس خنزير يرمقهم بنظرة الموت الساخرة غير المبالية ..

يزحفون تحت ظلام الليل والأشجار نحو قلعة الصخر ..

هنا ينقض عليهم أفراد عصابة (جاك) .. لشد ما تغيروا !.. لقد صاروا وحوشًا بالفعل .. وصارت لهم قوة ورشاقة النمور ..

سمعت صرخة ..

هناك من تربص ببيجى فى الظلام وقذفه بصخرة أفقدته توازنه .. هكذا هوى (بيجى) من أعلى إلى البحر وهو يصرخ ..

وسقط التوءمان فى الأسر ..

لعب الأطفال صارت أقسى من اللازم ..

وعلى الفور دوى صراخ (جاك) فى الظلام :

ـ « أريد (عبير) !.. أريد رأسها !.. من يظفر بها له مكافأة ! »

هكذا يصرخ الوحوش ويحملون المشاعل وينطلقون وسط الأحراش وهم يلوحون بالمدى والرماح ..

(عبير) تلهث وتقفز من موقع لآخر .. تتسلق الأشجار ثم تترجل ثم تجرى ..

شعرت بشىء يتحرك قربها فى الظلام ، فصوبت رمحها بإحكام ودفنته فى هذا الشىء .. سمعت صراخًا ثم سمعت من يقول :

ـ « قلت لكم إنها خطيرة ! »

هذا ليس صوت (جاك) !! النتيجة المنطقية هى إنها دفنت رمحها فى جاك نفسه .. ومن الواضح تمامًا أنه مات !!

كانت تبكى .. تبكى من الرعب ..

تبكى على (بيجى) صديقها الصغير البدين ..

تبكى على ذلك الاكتشاف المروع بصدد الطبيعة البشرية ..

تبكى من الجوع والبرد ..

تبكى من الوحدة ...

هؤلاء المفترسون يمشطون الجزيرة بطريقة منهجية بحيث لا يقدر فأر على الفرار ..

وعندما طلع الصباح كانت وحيدة قرب الساحل ، وكانت تعرف أن الكماشة تضيق عليها وأنه لا يوجد سبيل للفرار ..

بالطبع هو القتل .. سوف يغرسون رماحهم فيها ويهللون ..

إنهم .....

هنا نظرت خلفها فرأت المرشد يبتسم ..

قالت له وهى تلهث :

ـ « أنت تأتى فى الوقت المناسب دومًا يا مرشد .. »

قال وهو يمضغ شيئًا لا تدرى ما هو :

ـ « ليس بالضبط .. القصة انتهت فعلاً .. فقط بدلاً من ظهورى سيظهر ضابط بحرى رأى الدخان وجاء إلى الجزيرة .. لن يصدق ما يراه .. لكن قدومه المفاجئ سيمنع جريمة القتل هذه .. سوف ينظر للصبية ويتهمهم بأنهم سيئون وغير جديرين ببريطانيتهم ، لأنه سيعتقد أنهم كانوا يتسلون باللعب طيلة الوقت .. لن يتصور أبدًا أن الجزيرة شهدت قتلاً ودمًا وكل هذا العنف .. »

ثم مد يده لها قائلاً :

ـ « هيا بنا .. »

قالت وهى ترتجف :

ـ « هذه قصة شنيعة .. جو عام شيطانى من القسوة والكراهية .. »

ـ « هذا صحيح .. محور القصة هو أن الإنسان وحش يتظاهر بأنه مهذب ، لكنه يرتد لطبيعته بمجرد لمسة بسيطة .. فجأة صار هؤلاء الفتية عبدة أصنام وقتلة .. »

نظرت إلى رأس الخنزير المتعفنة المثبتة على وتد وقالت :

ـ « ما اسم هذه القصة ؟ »

قال المرشد وهو يفرغ حذاءه من الرمال :

ـ « هذا الرأس هو اسم القصة ... "

ـ « هل هناك رواية فى الأدب العالمى اسمها (رأس الخنزير) ؟ »

ـ « هى مشكلتك أنت .. فكرى جيدًا ... والآن يمكننا أن ننصرف .. »

وارتدى الحذاء ومشى معها وسط الحرائق والجثث المتناثرة وأزيز الذباب ...

* * *

قال لها المرشد :

ـ « أطفال يلبسون كالقبائل البدائية ، ويضعون أصباغ المتوحشين على وجوههم وجزيرة غامضة ورأس خنزير معلقة على رمح يتكاثر فوقها الذباب !.. الأمر سهل جدًا وأيقونى جدًا .. فكرى ! »

> هل عرفت القصة ؟..
>
> ابحث عن رقمها فى القائمة المنشورة ..
>
> لو كان الرقم يقبل القسمة على 2 فنحن نتكلم عن Yahoo.com
> ولو كان يقبل القسمة على 3 فنحن نتكلم عن hotmail.com
> ولو كان يقبل القسمة على 4 فنحن نتكلم عن Gmail,com ..
>
> استكمل العنوان على غرار :
>
> Abeer33@yahoo.com
>
> لنفترض جدلاً أن الرقم يقبل القسمة على 2 , 3 , 4 ، مثل الأرقام 12 , 24 , 48 ، هذه مشكلتك إذن !.. يمكن أن تجرب إرسال ذات الخطاب للعناوين الثلاثة ، لا تنس كتابة اسمك وعنوانك .. وستكون (عبير) فى الانتظار ، ولسوف يسعدها كثيرًا أن تتلقى رسالتك ...!

خمنوا معى ..

تقول (عبير) لأصدقائها :

« هذا هو الكتيب الأول من سلسلة الأعداد الخاصة لفانتازيا قد انتهى ، وإننى لأرجو أن يكون قد راق لكم .. هى مجرد لعبة أرجو أن تكون مسلية .. »

« هناك شىء واحد يقلقنى بصدد هذه التجربة .. القارئ قد يعرف القصة وبالتالى لا يرى ضرورة لإعادة سردها .. وقد لا يعرف القصة لذا تبدو له الصفحات التى عرضتها بلا جدوى على الإطلاق .. أعتقد أن القارئ الذى سيحب التجربة هو القارئ الذى سيحاول استعمال ذكائه لاستنتاج عنوان قصة لا يعرفها .. وكما قال المرشد من قبل : عندما تدور القصة على ضفاف بحيرة فمن السهل على أى كان أن يخمن أننا نتكلم عن (البحيرة الزرقاء) قصة ستاكبول .. عندما تقرئين عن مستكشفين فى حملة فى أدغال أفريقيا فنحن بصدد (كونغو) غالبًا .. كم قصة تتحدث عن البلاط الفرنسى والمؤامرات والمبارزات والكاردينال غير (الفرسان الثلاثة) ؟

« لو كنتم قد خمنتم العنوان البريدى الخاص بى فأنا فى الانتظار .. سوف أنشر أسماء أول عشرة قراء يرسلون لى هناك .. ربما فكرنا فى مكافأة صغيرة كذلك لكن الوقت ما زال مبكرًا .. »

« الكتيب القادم من السلسلة الذى لا أعرف متى يصدر سوف تكون فكرته مختلفة تمامًا ، لكنها كذلك ستكون أقرب إلى اللعبة المسلية ..

« شكرًا لكم وأنا فى الانتظار .. »

تمت بحمد الله

* * *

سافارى

صدر من هذه السلسلة :

1 ـ الوباء .
2 ـ خاطفو الأجساد .
3 ـ الحريق .
4 ـ رقصة الموت .
5 ـ تجربة محرمة .
6 ـ أشياء تحدث ليلاً .
7 ـ الآن تراه .
8 ـ الكابوس .
9 ـ الفصيلة .
10 ـ العاشر .
11 ـ يوم ثارت الوحوش .
12 ـ أرض الجنون .
13 ـ تسى تسى ! .
14 ـ إنهم يعودون أحيانًا .
15 ـ الرجل الذى لم يكن .
16 ـ ؟ ؟ ؟
17 ـ دواء يقتل ..
18 ـ عام الأفاعى .
19 ـ الجمجمة .
20 ـ المرض الأسود .
21 ـ الماساى .
22 ـ قشعريرة .
23 ـ الانفجار .
24 ـ الآن نرجوكم الصمت .
25 ـ كليمنجارو .
26 ـ الظاهرة .
27 ـ H.I.V .
28 ـ توركانا .
29 ـ حكاية ثقب .
30 ـ قصاصات .
31 ـ الحادث .
32 ـ لماذا جنت الأبقار .
33 ـ زولـــو .
34 ـ حكايات من الناتال .
35 ـ رجال من رجال .
36 ـ هـواء فاسد .
37 ـ رجل الرمال .
38 ـ الأخيـــر .
39 ـ NDE .
40 ـ عن الطيور نحكى .
41 ـ سيد الجينات .
42 ـ هـــم !